سلاح الطالب

التعبير الإنشائي

علي محمد الجمبلاطي
محمد مصطفى عطا

دار سعد مصر

التوجيه الإنشائى

للثقافة والتوجيهية

تأليف

على محمد الجمبلاطى ، محمد مصطفى عطا

مدرس بفاروق الأول الثانوية — مدرس بمصر الجديدة الثانوية

الطبعة الأولى



ملتزم الطبع والنشر

دار سعد مصر

٧٢ شارع الفجالة بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

قد يبدو عجيباً أن نتقدم إلى أبنائنا الطلبة وإخواننا المربين بكتاب فى التعبير، ولكن عجبهم لن يطول إذا ما تكشفت لهم البواعث التى أرادتنا على ذلك. فقد رأينا فى الكتب المؤلفة فى هذا الفن إغراباً فى اللفظ، وإمعاناً فى الزخرف، وإغراقاً فى التزيين والتجميل، مما يجانب روح العصر، ويبعد بالطالب عن الجرى مع الطبع، والصدق فى الاحساس.

ولأننا تطلعنا حولنا، فإذا صرخة مدوية تطالب بالتغيير المعجل لمناهج الدراسة وطرائقها فى التعليم الثانوى، ومن بينها درس الانشاء، فقد انعقد المؤتمر الثقافى العربى فى لبنان هذا العام، وأوصى بأن يكون القصد من تعليم اللغة العربية ما يأتى:

١ — أن تكون دراسة العربية وسيلة للثقافة، وتوسيع المدارك، وتنمية الذوق السليم، وتزويد الطلاب بكثير من المعلومات القيمة، لا أن تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومقررات، عمادها الزينة والزخرف الشكلى، وهى فى الحقيقة فارغة لا روح فيها ولا حياة.

٢ — وأن يتصل الطلاب اتصالا وثيقاً بالحياة الأدبية والعلمية المحيطة بهم وأن يسايروا النهوض الأدبى الحديث، لا أن يكونوا بمعزل عما حولهم فتكون المدرسة فى ناحية، والحياة الأدبية الواقعية فى ناحية أخرى.

وقررت اللجنة التى شكلت فى وزارة المعارف لبحث مناهج اللغة العربية ووسائل ترقيتها، فيما يمس هذا الموضوع فى السنتين الرابعة والخامسة، أن يوجه الاهتمام فيهما إلى ما يأتى:

١ — كتابة مقالات فى ضروب الاجتماع القومى، وفى بعض نواحى الشئون العالمية البارزة .

٢ — تصوير بعض نواحى البطولة التى تعرض فى المطالعات التاريخية، وفى بعض الأحداث الهامة .

٣ — تمرين الخيال فى موضوعات وصفية طريفة .

٤ — تمرين القوى الفنية المبدعة فى وضع قصص تستمد عناصرها من مطالعات التلاميذ أو تجاربهم ، أو من شئون الحياة المحيطة بهم .

٥ — تدريب قوى التفكير الراقى عند التلاميذ فى الكتابة فى بعض موضوعات معنوية ، وفى مناقشة بعض المبادىء والأفكار ذات الأثر الواضح فى حياة الناس وسلوكهم .

ولعل هذه الدوافع تكون خير شفيع لنا فى الاضطلاع بهذا العبء والقيام بهذا الاخراج، راجين أن يجعل منه الطلاب مرجعاً من المراجع التى يعتمدون عليها فى تدبيج مقالاتهم ، وتحرير آرائهم . وإنا لنكون أشد اغتباطاً لو أن أبناءنا الطلبة عارضونا فيما ذهبنا إليه من رأى فى علاج بعض المشكلات ، أو تناولها حتى يتحرروا من المحاكاة والانقياد ، ويكون لهم استقلال فى الرأى ، وأسلوب فى التفكير والتعبير .

وقد ذيلنا الكتاب ببعض المقالات الممتعة لكبار أدبائنا وكتابنا المعاصرين حتى يطلع الطالب على أنماط متباينة من الأسلوب والأداء ، فلا يقف عند أسلوب بعينه .

ولم نشأ أن يغفل الكتاب الموضوعات الانشائية التى طرقت فى امتحان القسمين الخاص والعام فعرضنا لها بالبسط والتحليل .

والله نسأل أن ينفع به أبناءنا الطلاب قدر مابذلنا فيه من جهد، وهو وحده ولى التوفيق .

المؤلفان

القسم الأول

الموضوعات الاجتماعية القومية

(١) النماذج

١

كاتب أجنبي رمى مصر بالهوان والضعة ، والترحيب بكل غاصب .
فاكتب مقالا تدفع فيه عن مصر هذه الوصمة ، وترد عنها هذه الفرية .

* * *

يعمد بعض الأجانب ، وبخاصة فى السنوات الأخيرة ، إلى أن يريشوا لمصر سهاما مسمومة نافسين عليها تقدمها الرائع فى مدارج الرقى والحضارة ، ومن ذلك ما حاكه أحد كتابهم من أوهام ، وسرده من أباطيل ، تهدف خلاصتها إلى أن مصر لم تخلق إلا للهوان والخنوع ، فكم تعاقبت عليها من أمم ، واختلفت من دول وشعبها ساكن لا يريم ، مستكين لا يهيج .

* * *

كبرت كلمة ينفثها قلمه ، وإن شئت ضغنه وتعصبه ، فالتاريخ المصرى تتضوأ صفحته ، وتشرق ديباجته . والشعب المصرى من بين الشعوب جميعها استطاع أن يبقى على شخصيته ، وأن يرد عنه عادية الأجنبى . هذ الشعب ذو التاريخ الحافل فى عصور المدنية الأولى ، وقت أن كان أجداد هذا الكاتب يصبحون ويمسون فى دياجير الضلالة وظلمات الجهالة ؛ هذا الشعب الذى غزاه «الهكسوس» بجحافلهم واستخدامهم عجلة حربية لم تكن معروفة للحربيين المصريين ، لم يخضع لهؤلاء الغزاة الذين أعشتهم الحضارة المصرية فحاكوها ، بل عبدوا معبودات المصريين وأقاموا المعابد مثلهم حتى نستطيع أن نقول فى غير غلو ، إنهم تمصروا لحماً ودماً .
ولم يترك هذا الشعب الأبى الكريم هؤلاء الأجانب يرتعون فى أرضه يستنزفون دماءه ، ويسيغون ماء نيله الفرات ، بل قام الأمراء المصريون فى الصعيد بحرب هؤلاء الأجانب حربا عنيفة وجاء لا هوادة فيها طيلة خمسين عاما انتهت

باستيلاء الأمير المصرى أحمس على منف، وانحسار موجة الغاصب الغشوم .

ثم ندير آلة الزمن لنقف أمام الاسكندر المقدونى ذلك الفاتح العظيم الذى انتصر على أقوى دولة فى العالم وهى دولة الفرس ؛ فانه عند ماغزا مصر ، ووصل إلى مدينة (منف) قرب القرابين إلى الالهين (أبيس وفتاح) ، ولما ارتحل إلى واحة سيوة ،حيث معبد آمون،قرب إلى هذا الاله القرابين زلفى، حتى لقبه الكهنة (ابن آمون) .

بل إن مصر ،حتى فى العهدالعربى، كان لهاشخصيتها وذاتيتها ، فكانت من أكبر العوامل فى إضعاف حكم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، كما يحدث بذلك التاريخ الاسلامى .

وهى فى عهد الأتراك والمماليك ، تنتقض على تصرفات الحكام الجائرة بزعامة الشيخ الدردير، ثم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف .

وهذه حالها فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر التى لم تهادنها قط ، بل ظلت معها فى حروب متصلة ، وثورات متقدة ،حتى تم لها الجلاء .

وما قامت الثورة العرابية إلا لرفع النير الأجنبى، الذى كانت البلاد ترزح تحت وطأته ، وكانت الثورة مسلحة بسلاحين مرهفين : سلاح القوة وسلاح الايمان . ولولا خيانة الخائنين، وكيد الكائدين ، ومظاهرة الأجانب لبعض العناصر الأخرى، لكان لها شأن غير ما آلت إليه، وغير ماسطره لها التاريخ .

ثم هـذا الصراع العنيف، الذى لم تهدأ فورته للقوات البريطانية فى مصر طوال ستين عاما ، وظهر بأجلى معانيه فى الثورة الصارمة ثورة ١٩١٩ م . ثم غضبة ١٩٣٦ م وما قفاها من فورات حامية ،من أقوى الدلائل على أن مصر أمة صلبة العود، صعبة المراس، لها من ماضيها المجيد، وحاضرها العتيد، جُنة تتقى بها

فصال المرجفين الحانقين ، من أمثال الكاتب الأجنبي المهين، ومن أضراب من قال « إن أهل مصر عبيد لمن غلب » أو من تمثل بقول المتنبي فى هجائه لكافور :

حصلت بأرض مصر على عبيد كأن الحر بينهم يتيم

ألا أيها الكاتبون ، شيئاً من الأفق الواسع الذى لا يقف عند سطور التاريخ و يستشف ماوراءها حتى يكون حكمكم سديداً ، وقولكم رشيداً !!

٢

أقبل كثير من شبابنا على تقديس أبطال غير ابطالنا ، فما الدوافع التي أدت بهم على ذلك ؟ وماذا ترى من مقترحات لردهم الى ساحة ابطال وطنهم ؟

* * *

هذه ظاهرة بدت فى أفق الشرق عند ماغلب على أمره ، وفقد الحول والطول فأراد له المحتل الغاصب أن يعيش على ما يقدم له من غذاء أجنبى ، حتى يقتل فيه الروح القومى، كما قال الكاتب الفرنسى هنرى بردو «لاشىء أقتل للروح القومى ،من تغلغل الأفكار الأجنبية » .

ولأن الذى يشعر بضعف أو نقص يتطلع دائماً إلى محاكاة القوى، أو من يرى فيه الكمال فينهل من معينه وإن كان كدراً ، وينساق فى تياره وإن كان جارفا خطراً ،يفعل ذلك فى غير وعى أو شعور ،وفى غير فهم أو تفكير .

ولأن بعض من فى قلوبهم مرض ،يعملون جاهدين على أن يخالطوا المحتلين فيجلسوا إليهم ، ويأخذوا عنهم ، ويتثقفوا ثقافتهم ، ويتزيوا بزيهم ، مبالغين فى ذلك حتى ينالوا الحظوة ويكونوا من المقربين .

ولم يقتصر المحتل على ذلك،بل حاول بمتباين الأسباب، وفنون الدعاوة إذاعة ثقافته ، وتجلية أبطاله فى صور براقة زاهية ؛ ومضفيا عليهم كل سمات البطولة والعبقرية ، ومهوناً من شأن الشرق وأبطاله من أنه كان عقيما بالرجال ، ناهضاً بالأبطال .

وينسرح الشباب طرفه فيما خلفه مؤرخوه، فلا يجد إلا صوراً شائهة ،وعلاجاً سقيما لهؤلاء الأبطال فيؤمنَ بصدق نظرية الداعية من الأجانب .

ثم أخذ الشرق يلقى عنه هذه الأصفاد ، ويدفع عن كاهله هـذه الأرزاء وينظر فى تاريخه بروح جديد، وعقل ناشط سديد، فإذا الشوط بعيد ، وإذا الهوة سحيقة ، وإذا التركة مثقلة،ولـكنه لا ييأس،لأن بصيصاً من نور،وشعاعا من أمل مازالا يضيئان له الطريق ، ويبعثان فيه الدفء حتى يقوى، ويثابر على الـكفاح .

ثم ،جهد الـكتاب من طول السرى ووعورة الطريق. فمؤرخونا الأقدمون — يرحمهم الله — عنوا فى تأريخهم بالحكومة دون الأمة ، وبالدولة دون الشعب ؛ وبالغزوات والحروب دون الإصلاحات والمـكرمات .

ولأنهم لم يصوروا لنا أبطالنا فى مدارج طفولتهم ، ومواتع شبابهم ، ولم يصفوا لنا ملامحهم ومزاجهم وطباعهم ،حتى نـكيف أعمالهم ، ونحكم عليهم حكماً أقرب إلى الصدق والصواب .

* * *

ولـكن جهودهم الصادقة ، وعزماتهم الثاقبة ،حققت بعض ماناأمل ، وردت الشباب هونا ما إلى ساحة أبطالهم القوميين وإن سلك كل منهم الطريق المحببة إلى نفسه، والتى يرى فيها قوة التأثير ،ودقة التصوير،وذلك عن طريق القصة والمقالة والتاريخ الأدبى ، والتاريخ العام .

فمن سلك طريق القصة، الدكتور طه حسين بك ، فى كتابه « على هامش السيرة» الذى يمتاز بإشراق الأسلوب وعذوبته؛وغزارة المـادة ، وبراعة التصوير .

وتوفيق الحـكيم فى رواية «محمد» ،وقد وضعها فى حوار تمثيلى، وقالب قصصى. وأخيراً على الجارم بك فى كتبه « فارس بنى حمدان » و « خاتمة المطاف » و « شاعر ملك » . وممن وصل إلى هدفه بالمقالة فى بيان منخّل أخاذ ، الدكتور عبدالوهاب عزام بك فى كتابه « الأوابد» فاقرأ ما كتبه فيه عن «جلال الدين منكبرتى» وعن «عقبة على شاطىء المحيط» تجد متاعا ولذة فى الأسلوب والفكرة والتصوير .

وممن سار فى سبيل التاريخ الأدبى ، هيكل باشا فى كتبه « حياة محمد » و « الصديق أبو بكر » و « عمر بن الخطاب » ويغلب على هذه الكتب طابع البحث الدقيق ، والدرس العميق ، والاستنباط ، فهى أشبه بالمصادر الجامعية .

والأستاذ العقاد فى كتبه « ابن الرومى » و « سعد زغلول » والعبقريات التى نهج فيها منهجاً آخر فى البحث ، إذ هى إثبات لعظمة هؤلاء الأبطال بالأدلة التاريخية ، والصفات النفسية . وأسلوبه فى « عبقرية محمد » يسمو إلى درجة رفيعة تظفر بأروع الإعجاب .

والأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه « مصطفى كامل » ، وهو تاريخ مطبوع بطابع الدقة العلمية .

وغيرهم من الكتاب الصادقين ، الذين دافعوا عن وطنهم المهيض ، وقوميتهم المتحيّفة ، وقدموا غذاء دسما للشباب العربى ، ولكننى أخشى أن يكون هذا الغذاء ثقيلا على معدهم — إن صح هذا التعبير — فأكثر هذه المؤلفات تكاد تكون وقفا على خاصة المثقفين ، فلم يهضمها بعض شبابنا من طلاب المدارس الثانوية والعالية من ذوى الثقافة الضحلة ، والأفق المحدود .

وإنى أقترح ، علاجا لهذه المشكلة التى طال أمدها ، أن نخرج كتباً ضئيلة الحجم — إلى حد ما — تصور أبطالنا تصويراً جذابا رائعاً ، على أن تكون شاملة الفكرة ، رائعة العرض ، منتخلة الأخبار ، نابضة الخطوط ، واضحة الملامح ، حتى تنقل الشباب إلى عوالم هؤلاء الممتازين ، فنشعر بعظمتهم ، وندرس روائعهم ، ونتذوق آثارهم ، فى أسلوب قصصى شائق ، لا يعلو على أفهام الناشئة ، ولا يسف عن مستوى الأدب الرفيع ، ورأينا الأسدّ فى هذا ، أن تعمد وزارة المعارف والمكتبات الكبيرة والجماعات الخيرية النابهة ، إلى إجراء المسابقات بين الكتاب ، أو إسناد

هذه المهمة إلى بعض أدبائنا، ممن لهم قدم راسخة فى هذه الناحية، ثم تنشر هذه الكتب بمختلف الوسائل بين شبابنا فى المدارس، والجامعات، والهيئات العامة.

وأن ندخل هذه الكتب فى مناهجنا الدراسية، وتزود بها مكتباتنا، حتى تكون زادا للطلاب يقبلون عليه، وينهلون منه، فى تذوق واستساغة.

ونكون بهذا العمل الجليل، قد أدينا لوطننا الحبيب خدمة كبرى، فرددنا إلى ساحته أبناءه المتمردين، الذين شاء لهم سوء طالعهم أن يكونوا كذلك.

٣

اكتب مقالا افتتاحياً ينشر فى احدى الصحف تحث فيه الأمم العربية على التبرع للجيش العربى للدفاع عن فلسطين .

* * *

أى أخى فى العروبة ...

لقد كافحت الوفود العربية كفاحا مجيداً . لـكسب معركة فلسطين ، كسباً سلميا فى أبهاء هيئة الأمم المتحدة العالمية ، ولـكنها لم توفق ، لأن الصهيونية قد أخذت سبيلها إلى نفوس الأمم الـكبيرة ، شاهرة على العرب والاسلام حربا عنيفة من الدعاوة المغرضة ، باذلة فى هذه السبيل ، الأموال والجهود ، مثيرة عصبية دينية حمقاء ، مهددة هذه الأمم بسحب رءوس الأموال منها ، وتهييج حرب لا هوادة فيها ، بل ملوحة لأمريكا بأنها ستثبت أقدامها فى هذه البلاد ، ومن ثم فى بلاد الشرق الأوسط .

وقد نجحت الصهيونية فيما تهدف إليه ، وفى العمل على تقسيم فلسطين ، وهنا لم يجد العرب ندحة من أن يقابلوا تهديدا بتهديد ، ووعيدا بوعيد ، وأن يذودوا عن هذه البلاد المقدسة ، إلى آخر قطرة من دمائهم ، وإنهم لعلى حق فى ذلك حفاظا على عروبتهم ، واستمساكا بعزتهم لأن العربى سيعيش فى فلسطين . إن صح هذا التقسيم غريبا ذليلا وقد أمرنا الله أن نكون « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »

ولأن هذه الأرض المغتصبة ستكون شوكة قاسية فى جنب الدول العربية تخزها ، وتدميها ، فتقض مضاجعها وتسلبها لذاذة الأمن والاستقرار ، وستكون ثغرة ينفذ منها هؤلاء اليهود ، بروحهم الخبيثة ودعاوتهم الرخيصة ، فيدنسون روحانية الشرق ويلوثون من فى قلوبهم مرض .

بل إذا تحقق هذا التقسيم فقل على الجامعة العربية السلام . فلن يهدأ

لليهود بال، ولا تطمئن لهم نفس، حتى يوقعوا بالدس الرخيص بين هذه الأمم بما فطروا عليه من دهاء، وما يسرى فى عروقهم من خبث وختل، حتى تنحل العروة الوثقى، ويتفرق الشمل وتهن الجماعة .

أيها العربى العزيز ...

إن العدو قوى الشكيمة، موفور المال، غنى بمواهبه، عزيز بأنصاره. فله جيش مدرب خاض غمار القتال فى الحربين الماضية والأخيرة، وله علماء ممتازون، قد وضعوا مواهبهم وعبقرياتهم فى خدمة هذا الجيش، ومدوه بثمار الكشوف العلمية، والمخترعات الحربية الحديثة.

وفى قبضته شركات عالمية، تذيع أنباءه فى الخافقين، وتستصرخ الحكومات والأمراء للعطف عليه، ومديد المساعدة إليه، وتضلل الشعوب بما تغرقها به من ألوان الأراجيف، وصنوف الأباطيل.

وفى مكنته أن يؤلب الحكومات، ويغرى المحاربين بنصرته، والدفاع عنه وأن يشن حربا صليبية أخرى .

أيها المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ...

هذه هى قوة العدو ؛ وهذا خطره، فاذا كانت تجرى فى عروقك دماء العروبة وإذا كان الاسلام يشع نوره من قلبك، وإذا كنت متحدرا من سلالة صلاح الدين، وإذا أشربت نفسك روح اليقين، لما قرأت عن «موقعة حطين» فاخرج عن مالك، واجعله هبة خالصة، لله ولتحرير فلسطين، ولجيش الدفاع عن فلسطين، ولتعلم أن هذا الجيش قمين بتأييدك، حرى بتشجيعك، لأنه جيش الخلاص، جيش التحرير . إن كل جندى فيه لا يناضل مدفوعا بشهوة الغزو وعامل التملك ولكنه يدافع لرد العدوان ودرء ما يهدده من خطر جسيم .

إن كل جندى فيه، تسرى فى عروقه دماء صلاح الدين، الذى اجتمعت عليه أمم الغرب قاطبة، فوقف فى سبيلها وحده، وليس له من نصير إلا ربه، وأعظم به من نصير .

إن كل جندى فيه قد فارق أهله ووطنه، بل خرج عن فرديته وذاتيته، ليحارب حرب المستميت ، ويناضل نضال المستهين .

أيها الأخ الكريم . . .

فى هذه الساعة الفاصلة ، سيتقرر مصير أمة ، لا بل مصير جنس بأسره ، لا بل مصير دين مكين ، أفأنت عربى ؟

إن كنت كذلك فمكن لعروبتك بالخروج عما تملك. لقد ضرب « الحاج أمين الحسينى » مفتى فلسطين، مثلا عاليا فى التضحية بالمال ، بعد أن وهب نفسه لقضية فلسطين . نخرج عما يملك من حطام الدنيا من قصر منيف ، متبرعا بثمنه للجيش العربى الكبير. فقد آمن هذا الرجل بأن المال عرض زائل، وأن الوطن معنى خالد ، فآثر الجوهر على العرض ، والخلود على الزوال .

فياله من رجل !! ويالها من تضحية !!

أيها العربى الأبىّ ...

كن موقنا بأن ماتبذل من مال فى هذا الجهاد ، إنما هو أضعف الإيمان ، فكثير من إخوانك فى الله، بذلوا دماءهم غالية، واستشهدوا لنصرة دينهم، وتعرضوا لألوان من العذاب ، وصنوف من الآلام ، ولكنهم لم يهنوا ، ولم يبخلوا ، لأنها من الله وإلى الله .

فإذا سألك دينك مالا ، فقد سبق أن سأل جدك نفسا، فقدمها إليه راضيا مطمئنا . وإذا سألك نصرة وتأييدا ، فإنما يفعل ذلك حتى لا تذلّ ، ويحيق بك ماحاق

بإخوان لك من قبل[١] ، تناحروا وتخاذلوا ، حتى مكنوا لعدوهم ، فنكل بهم نكالا ما زال يشمئز منه التاريخ .

أخى فى الله ...

لقد حذرتك مغبة النكوص والكزازة فى موقف البذل والتضحية، وبصرتك بأمرك ، واستحضرت أمام عينيك صحائف التاريخ فى دقة وأمانة ، وأشهدتك على دوافع ما كان ، وأوقفتك على عواقب ما سيكون ، فأبرأت ذمتى ، وأرضيت ضميرى أمام الله والتاريخ .

ألا هل بلغت !! اللهم فاشهد .

(١) هم العرب فى أسبانيا

من عبر الوباء

مرت بمصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ،ألوان قاتمة من الأوبئة القاتلة، كان أشدها وطأة ،وباء الهيضة « الكوليرا » الذى قضى على أكثر من أحد عشر ألفاً من الأرواح .

ولم يمر بنا هذا الوباء من غير أن يلقى علينا دروسا قاسية ،ستظل لنا عبرة نعتبر بها على الأيام ، ونفيد منها فى الحاضر والقابل من الأعوام .

وأول هذه الدروس التى لقناها ، أن الجهل والاهمال هما أعدى أعداء البشرية ،والسبيل إلى الرجعة والنكوص ،فلولا الجهل بأبسط المبادئ الصحية ، ولولا استخفافنا بالنظافة ،لما أزهقت هذه الأرواح ،ولما طواها الردى ،وألقاها فى هوة العدم ،وظلمة الفناء ،فجس خلال قرية من القرى،وارتد منزلا من منازلها ، وسر فى أزقتها ومنافذها ،فستهولك جيوش الذباب ، وأكداس البعوض تنثال عليك من كل صوب فتنغصك،بطنينها المدوى،ومنظرها البشع ؛ ولذعها الممض القاسى ،وسيأخذك الدوارمن روائحها الكريهة التى تزكم الأنوف ، وتدفع بك إلى السخط والاشمئزاز : فهذه كومات السماد معرمة ، وتلك تلال القمامة المكدسة يعلوها روث البهائم فيزيدها ضغثاً على إبالة .

ولو أوتى الفلاح المصرى، أو الرجل الريفى،قليلا من المعرفة ،وطبع على شىء من النظافة ،لما رتعت هذه الحشرات الضئيلة فى هذا القذر ، وحملت الجراثيم المؤذية الضارة فأصابته بشر مستطير، وآذته بضرر كبير .

* * *

وعلمتنا هذه العظات، أن إصلاح القرية المصرية ، وإمدادها بماء الشرب

أصبح من الضرورات . فالترعة التي تسمى « بحر البقر » هي التي حملت جرثومة وباء، الهيضة وقضت على الآلاف من البشر الأصحاء الوادعين .

فالحكومة المصرية رأت أن التباطؤ في القيام بهذا الاصلاح كان من الأسباب الداعية إلى استفحال الوباء، وانتشاره انتشار النار في الهشيم ، فما كان منها إلا أن رصدت في ميزانيتها الحالية عشرين مليونا من الجنيهات لسقي الريفيين ماء نقياً مستساغا .

حقاً لقد كان الوباء نقمة على مصر، ولكنها حملت في طياتها نعمة كانت منذ أمد بعيد حلم المصلحين الاجتماعيين .

* * *

وأرادتنا هذه العبر ، على أن نحمل في غير هوادة ، على الحشرات الضئيلة الناقلة لجراثيم الأمراض ، كالذباب والبعوض ، والبراغيث والقمل ، ونحاربها حربا عنيفة لاستئصالها، أو الحد من سطوتها ، والتخفيف من شرتها ، فهاهي ذي طائرات وزارة الصحة تغدو، وتروح في الجو، نافثة هذا السائل المهلك، لتبيد الأنواع الخبيثة من هذه الحشرات .

وها هم أولاء رجالها، يفتشون المنازل ويغشون المحال ، ليطهروها مما علق بها، أو انتثر في أرجائها من جراثيم .

لقد كان الإنسان في الزمن الأول يطارد الوحش في آجامه ، ويدفع عن نفسه غوائل الضواري والكواسر من الحيوان والطير، ولكنه عاد اليوم، وقد تخلص من عدوان هذه ، ليكافح فتك الحشرات الضئيلة، والجراثيم المستسرة. فيالها من مفارقات عجيبة !! .

ومن عبر هذا الوباء، أننا رأينا الإنسان لم تزايله إنسانيته، ولم تفارقه مروءته، على الرغم مما يعتور حياته من قسوة وغلظة، فما أن ترامى إلى سمع الدول محنة مصر بهذا الوباء، حتى هبت فى حنو وإخلاص، تسدى إليها النصح، وتنقل إليها المصل، وتمدها بالأطباء.

لقد شعرت مصر فى شدتها باليد الآسية تمر على جبينها، لتخفف من آلامها، وبالقلب الرحيم يحنو عليها، ليسرى عنها أشجانها وأتراحها، بل إن أعدى أعدائها أغمض عينه عما فى صدره من اضطغان، وراح يمدها بألوان من البذل الخالص، والمعونة الصادقة.

* * *

ومن عبره أنه أتاح لنا فرصة نتعرف منها على المعين والنصير، والكاشح والمتخلف، ونقف فيها على الجواد المخلص، والبخيل الحاقد.

فقد تبرع أحد المياسير بخمسة وثلاثين ألفا من الجنيهات، ووعد آخر بأربعين ألفاً ثم رجع عن وعده، فاستحق الأول تكريم الوطن، والآخر لعنة الأجيال.

فما أغلاها من عبر !! وما أروعها من عظات !!

قال الفيلسوف الانجليزى المعاصر جود : « لو أسندت المناصب الكبيرة فى دول العالم إلى رجال لا يتجاوز سنهم الخامسة والثلاثين ، لكانت أسعد حالا مما هى عليه الآن » * ناقشه هذا الرأى مؤيداً أو معارضاً .

* * *

إنى أؤيد هذا الرأى لا انطلاقا وراء عاطفتى ، أو عصبية لسنى ، ولكن لأمور أراها فى الشباب ، وتعز على الشيوخ ، ولأن بعض الشباب الذين أراد لهم التاريخ أن يكونوا قادة ، أظهروا كفاية حرية بالتقدير والاعجاب .

فالشباب ربيع الحياة بفتائه ، وتدفق عاطفته ، واقتداره على العمل ، وحضور ذهنه ، وقلة تبعاته الاجتماعية .

والمناصب الكبيرة فى مسيس الحاجة إلى هذا النشاط الدافق ، والعمل الدائب ، فالوزير فى الدولة ، والقائد فى الجيش ، ومدير المصرف ، قد ألقى عليهم عبء فادح ينوء به ذو الأيد ، فاذا تقلد هذا المنصب شيخ فى الستين ، فكيف ينهض به كاملا غير منقوص ؟

إن هذا الشيخ بين أمرين : إما أن يطلع بنفسه على كل دقيقة وجليلة إذا كان حى الضمير ، وإما أن يلقى هذا الحمل على غيره راضياً بالتوقيع إذا كان ميت الشعور ، خامد الاحساس ، وهو فى الحال الأولى لا ينجز الأمور ويصرفها فى سرعة ويسر ، بل يكتفى ببحث حال أو حالات قلائل فى اليوم ، مما يؤدى إلى ركود الأعمال ، وتوقف الدولاب الحكومى .

وفى الحال الثانية لا يقف على أمور منصبه إلا بعين غير عينه ، وعقل غير عقله ، وكلا الأمرين شر مستطير على الدولة .

---

* see " on the future of Morals " by Joad. page 18.

والمناصب الكبيرة فى حاجة إلى حضور الذهن الذى لا يتوفر إلا فى الشباب، فالإنسان كلما غبرت عليه السنون، كلما زاد عقله بلادة وركوداً، وازداد غفلة ونسياناً، كان أقرب إلى الحكم بنص القانون لا بروحه .

والمناصب الكبيرة فى حاجة إلى الاطلاع الموصول لمسايرة الركب العالمى والوقوف على أحدث ما وفقت إليه القرائح البشرية من كشوف وآراء ، والشيخ لا يستطيع ذلك ، وإذا استطاعه شغلته أدواؤه وأهلوه ، وباعدت بينه وبين ما يصبو إليه .

والمناصب الكبيرة فى حاجة إلى التجديد والاصلاح والابتكار والشباب أطوع وأقدر على ذلك من الشيوخ الذين يعيشون على ماضيهم ، يرون فيه المثل الأعلى ، والغاية المنشودة والأمل الموموق .

والشباب يستعيض عن كثرة تجاريبه بمضاعفة قراءته ، وانكبابه على العمل ، ويؤيد اندفاعه بحضور ذهنه ، ويعتذر عن زلته بسرعة النهوض منها ، والاعتبار بها .

بل إن كثرة أخطاء الشباب لتعزى إلى هذه القيود الثقيلة التى صفده الشيوخ بها ، فلا يعمل عملا إلا بوحى منهم ، وإذا تحرر بعض التحرر ، فالويل له والانتقام منه .

بل ثمة ظاهرة غريبة : هى أن الشيوخ ينفسون على الشباب اقتداره ، ويحسدونه على نباهته ونشاطه فيحقرون من عمله ، ويهونون من شأنه ، ويهولون من خطئه ، ويجسمون من سهوه .

فكيف لا يتعثر الشباب ؟ وكيف لا يكبو ؟ ! وكيف لا تصاب الأداة الحكومية بالهرم والشيخوخة ، والانتكاس والجمود ؟

ثم هذا شاهد التاريخ يؤيد ماذهبت إليه .

أفلم تقرأ قصة الاسكندر المقدونى ؟ إنه تربع على الملك وهو ابن العشرين. فثار عليه شعبه استهانة بسنه ، وربما عجبا لعوده ، فاذا هو يخرج على رأس جيشه. ويؤدب المتألبين عليه، حتى آمنوا بعظمته وكفايته ، على الرغم من حداثته .

بل إنه فى أمد قصير دوّخ جيوش العالم فى ذلك الوقت، وانتصر عليها، وأخضع الشعوب القصية، والأمم العصية، بما له من همة فتية، وروح قوية : ولو أملى له فى سنه ومدّ فى أجله ، لتربع على عرش العالم ، وأصبح رجل الدنيا وواحدها .

وهذا زعيمنا الشاب مصطفى كامل الذى شنّ على الاستعمار حربا شعواء ، وكان أول زعيم نادى بالجلاء ، فى وقت كان أعصب الأوقات، فقد مكّن الغاصبون لدولتهم بما شروا من ذمم ، وابتاعوا من ضمائر ، وكانت البلاد مازالت مذهولة من تقتيل أبنائها ، وتشريد زعمائها فى أعقاب الثورة العرابية .

كوّن على صغره الحزب الوطنى فالتف حوله الشعب وظاهره ومازال على جهاده ونضاله فى أرض الوطن وخارجها حتى أسلم روحه الطاهرة ، قوى الإيمان ثاقب العزيمة .

وهذه هى الحرب الأخيرة التى ألقت علينا درسا لن ننساه ، من أن عجلة القيادة يجب أن تكون فى أيدى الشباب الناضج المتوثب بل إن انجلترا المحافظة قد أيدت هذا الرأى، واعتبرت بهذه العبرة ، فأحالت الشيوخ على التقاعد، وأسلمت الراية للشباب، فخاض بها الخضم حتى خرج ظافرا منتصرا ، متوجا بأكاليل الغار .

الشباب قوة مذخورة ، والأمة الرشيدة هى التى تفيد منها ، حتى تتغلب على صعابها ، وتذلل عقابها ، وتجدد ماخلق من خططها .

ألست على حق إذن فيما ذهبت إليه من أن الفيلسوف جود على حق ؟ بلى إنه لكذلك .

سيضع جلاء القوات البريطانية على كاهل الحكومة المصرية تبعات جساما واعباء ثقالا . اذكر بعضها هذه التبعات .

* * *

جلت القوات البريطانية المحتلة عن المدن المصرية الكبرى متراجعة إلى منطقة قنال السويس ، وتدل الشواهد من تصميم الحكومة المصرية على جلاء هذه القوات ، وتصريح كبار العسكريين البريطانيين ، وعطف بعض الدول الكبرى على مطالب مصر العادلة . . . يدل كل ذلك على أنها ستجلو عن مصر جلاء شاملا ناجزاً .

وقد قوى هذه الدلائل ودعمها بدء القوات البريطانية فى الجلاء عن فلسطين تلك القلعة الحصينة للدفاع عن الإمبراطورية البريطانية .

* * *

وإذن فسيقع عبء الدفاع عن مصر على الجيش المصرى، الذى رسف أزماناً طويلة فى الأسر ، وكبّل بأصفاد ثقيلة من المعاهدات الغاشمة حينا والحلف القاسى حيناً آخر ، حتى بات فى عزلة رهيبة ، سليب الحرية ، مقيد التصرف ، مهيض الجناح .

فالتبعة الكبرى الملقاة على عاتق الحكومات المصرية ، أن تعزز هذا الجيش فى عَدده وعُدده ، فى سلاحه وخططه ، وذلك بأن تزيد عدد أفراد الجيش العامل زيادة تتفق وعدد السكان ، وأن تنشىء مصنعاً للأسلحة الصغيرة ، وأن تعزز سلاح الطيران ، فتكثر من الطائرات والطيارين ، فقد أضحى هذا السلاح قوة رهيبة فى الحرب الحديثة .

وأن تبتاع سفناحربية تكون قوام أسطول له سطوته وعنفوانه ، فما زالت السفينة الحربية لها خطرها فى الحرب الحاضرة ، كما كانت فى الحروب الماضية .

وألا تتقيد الحكومة فى شرائها هذه الأسلحة والمدافع والطائرات والسفن بدولة معينة ، بل أن تغشى الأسواق العالمية ، وتختار أجود وأفتك ما فيها .

وأن تضع لها سياسة قويمة فى دعم الجيش ، ورفع مستواه ، غير متأثرة بحكومة من الحكومات ، أو بحزب من الأحزاب ، بل الرأى الأول والأخير فيها لهيئة أركان الحرب ، مستنيرة بما تصنعه الدول الكبرى فى هذه السبيل .

* * *

وقد يبهظ هذا التعزيز الميزانية المصرية ، ولكننا مقبلون على عهد جديد ونعيش فى عصر جديد ، تخشى فيه سطوة الأمة القوية ويرهب جانبها ، ولا نناتريد أن نسهم بأجنادنا البواسل فى القوات العالمية ، وأن نقف وإياها على قدم المساواة فى صون الأمن فى ربوع العالم . وبهذا المسلك القويم ندفع عنا هذه الوصمة التى رمانا بها المستعمرون من أننا أمة خانعة تُقاد ولا تقود ، وتقنع ولا تطمح ، وأنها أمة زراعية تستنيم إلى الدعة والراحة ، وتعزف عن الكفاح والجلاد !!

* * *

وقد يقال إن حالتنا الاجتماعية تحتاج إلى أموال وأموال لمحاربة هذه الأدواء الوبيلة : الفقر والمرض والجهل . ولكننا بشىء من العزم والتضحية والايمان التى لقنها إيانا ديننا القويم ، يمكننا أن نجتاز هذه المحن ، وأن نتحلل من هذه التركة المثقلة ، التى خلفها لنا الغاصب المستعمر .

* * *

وقد يرجف المرجفون ، ويذيع المذيعون ، ممن لا يبغون لنا نهوضاً من كبوة ،

أو إقالة من عثرة، بأن إنفاق المال على الجيش ضياع له فى غير مانفع ولا جدوى، إذ أن مجلس الأمن العالمى قد كفل حريات البشر ، وأن السلم أصبحت حقيقة لا شك فيها ، ويكفى أن نرد على أمثال هؤلاء بمنطق الحوادث الذى لا يخطىء ! فماذا صنع مجلس الأمن لأندونسيا تلك الأمة المجاهدة التى تحارب الاستعمار وتأبى أن تهادنه ؟

وماذا فعل مجلس الأمن لفلسطين العربية التى يريدون لها تمزيقا ، ولأبنائها تشريداً ؟ وماذا قدم هذا المجلس لحل القضية المصرية ؟ إن مجلس الأمن بوضعه الراهن، مجلس تطغى عليه النزعات الاستعمارية ، والمطامع الأشعبية جاعلا دستوره الحق للقوة ، مهما كان عسفها ، وانحرافها ، وجلاء هذه القوات يجعلنا نعاود النظر فى سياستنا الخارجية ، فنضع لأنفسنا خطة ذاتية متحللين فيها من التقيد بسياسة الاستعمار ، واضعين نصب أعيننا أن نعيش وجيراننا فى وئام وتساند ، وأن نظاهر جهدنا من يؤازرنا فى أمانينا القومية المشروعة ، ويأخذ بناصرنا فى الشدائد والملمات .

فلنتسلل من هذه العربة الكريهة ، عربة الامبراطورية ، التى جرت علينا الويلات والأوصاب .

***

وجلاؤها يضع على عاتق الأحزاب المصرية الحاكمة تبعة الإصلاح والتجديد . فى غير مطل أو تسويف ، أو انتحال التعلات التى كانت حجتها فيما مضى أنا مقيدون ، وأننا قوبلنا من هذه السفارة أو تلك ، بمعارضة حادة أدت إلى وقف التشريع إلى آخر ما كنا نسمع ويذاع .

***

وجلاؤها يتيح للمربين فرصة مواتية لتغيير خططهم التعليمية وتعديلها على أساس آخر من تقوية الذاتية فى الطالب المصرى، وغرس خلق الاستقلال والاعتماد على النفس فيه ، والتوسع فى التعليم الفنى والصناعى .

فحقا إنها لتبعات جسام لا نقوى على النهوض بها إلا إذا آمنا بحقنا فى الحياة ،وصدارتنا فى المجتمع العالمى : وأخذنا أنفسنا بالتضحية والحرمان ونكران الذات ، وإنها لكبيرة إلا على المؤمنين .

٧

نهض الجيش المصري في الأيام الأخيرة نهضة جبارة، فما بواعثها؟ وما مظاهرها.

* * *

بعد واقعة « التل الكبير » المشئومة؛ فرض المحتل قيوداً ثقيلة على مصر حدت من نهضة الجيش وقوته، بوضع رقابة ساهرة عليه، والمباعدة بينه وبين الأخذ بالأساليب الحربية الحديثة، وحرمانه عدد القتال الرهيبة، وقصره على نوع من السلاح لا يجاوزه إلى أن كانت سنة ١٩٣٦ م، حيث عقدت معاهدة بيننا وبين الغاصب، كان من فقرها أن يتحرر الجيش، ويزاد عدده، وتنوع أسلحته لدفع عجلته إلى الأمام.

ولكن المعاهدة لم تحقق ما عقدنا عليها من آمال كبار، فحيل بيننا وبين صنع الأسلحة وإنشاء المصانع للذخيرة، والتحلل من الرقابة العسكرية المفروضة علينا، ثم كان نشوب الحرب العالمية، فتوقفت المصانع عن مد الأمم غير المحاربة بالسلاح، وضوعفت الرقابة، وزاد الكابوس الجاثم على صدورنا في كتم أنفاسنا، وقيد حركاتنا وسكناتنا، فلم يجد الجيش متنفسا أو خلاصا من أغلاله وأصفاده.

وما أن وضعت الحرب أوزارها، وخمدت نارها المساعرة، حتى أخذ كبار الضباط من الجيش المصري يفكرون تفكيراً جديا لانتشاله من الحضيض الأوهد، إلى مدارج النهوض والتقدم.

أخذوا يفكرون في ذلك لأن الكرامة المصرية، وما كان لنا من ماض مجيد في المواقع والحروب، والغزو والفتح، تحتمان هذه النهضة، ولأن مصر في آونتها الحاضرة؛ قد أصبحت زعيمة الشرق العربي، ولها أثر خطير في توجيه

سياسة الشرق الاوسط ، فكيف يكون لها مركز الصدارة،وليس لها من جيش قوى يذودعن حياضها ؛ ويدفع عن كيانها ، ويجعلها مرهوبة الجانب قوية البأس ؟

ولأن الحماية المفروضة على مصر قد قضى عهدها ، وراح إلى غير رجعة ووقفت مصر على قدميها تطلب المساواة والأخذ بنصيبها فى تمكين الأمن العالمى.

ولأن الحق مازال للقوة ؛ والحرب العالمية الثالثة آتية لا ريب فيها ،فالأمم الظافرة تفرض قيوداً ثقيلة على الأمم المغلوبة ،وهى أمم ذات حضارة ومجد، ولن تخضع طويلا لهذا الاذلال وذلك التحكم ،والأمم الغالبة أخذت تشتجر فيما بينها على الأسلاب والغنائم ، وخرجت أمريكا من عزلتها — وقد كانت قبل زاهدة عيوفا لا تقر مبادئ الاستعمار والاحتلال — تطالب بحقها من هذه الأسلاب لتوسيع مجالها الحيوى وتأمين مواصلاتها .

ولأن الاستعداد للحرب توطيد لدعائم السلم ، فلا شك أن الشعوب مازالت ويلات الحروب فى بؤرة الوعى منها ، وبخاصة بعد أن استحدثت آلات واخترعت قذائف ، إذا دوّى صوتها مادت الأرض ، واهتزت جنباتها ، وضجت لها السموات السبع ، وبات القوم صرعى قد انتثرت أشلاؤهم ، وصوّحت زهرة الحياة فيهم .

* * *

ولأن طريق الجهاد أمام مصر مازال طويلا وعرا ، ولن تظفر بحقها فى الحرية والاستقلال إلا إذا كانت فيها قوة دافقة ،وروح عسكرية ناهضة يحسب لها فى السياسة الدولية ألف حساب ، فلا بدع أن هبت مصر تطالب بالنهضة العسكرية ، وتدريب الجيش تدريبا عصريا ، وتزويده بالأسلحة المستحدثة ، وإيجاد

التعاون الوثيق بين أقسامه المختلفة من بحرية وبرية وطيران .

* * *

وقد لبى الجيش هذا النداء ، واستجاب لهذه الدعوة الخالصة الحارة؛ فأصدر قانون التجنيد الجبرى، وألغى البدل، وقضى على امتيازات بعض الهيئات والأفراد حتى يصبح كل فرد من أفراد الوطن قادراً على الدفاع وحمل السلاح إذا هتف الهاتف « أجيبوا داعى الوطن !! »

وألغى العقاب البدنى من الجيش، مما يزيد فى كرامة الجند، ويدفع الكثيرين إلى التطوع فى الجيش العامل ، وتتوارى من الأذهان هذه السبّة التى التصقت بالجيش آمادا طويلة من إهانة الجنود وإذلالهم .

* * *

وسافرت بعثة عسكرية على رأسها رئيس هيئة أركان حرب الجيش إلى أمريكا لتشهد المناورات الحربية ، وتتمرس بأساليب الدفاع الحديثة، وتقف على التطور العظيم فى الأسلحة المختلفة، وأساليب القتال ، وخطط الدفاع .

* * *

وأخذت الحكومة فى ابتياع الطيارات الحربية ، وتدريب الشبان على الطيران. فاليوم يبحث وزير الدفاع مشروع إنشاء كلية للطيران ، حتى تغذى الجيش بأقدر الطيارين وأحذقهم لما ثبت فى الحرب العالمية الماضية من خطر هذا السلاح وقوة بأسه ، وعظيم بطشه .

* * *

ولم تقتصر على هذا ، بل جاوزته إلى تقوية البحرية، وإمدادها بالسفن الحربية وتزويدها بكاسحات الألغام والمدمرات وما إليهما ، فمن عبر الحرب العالمية

الأخيرة ، أن هذا السلاح لما يفقد أهميته وحيويته فى الحروب ، وأن امتلاك ناصية البحار ، من بواعث الظفر فى القتال .

وأدخلت الكلية الحربية أول فوج من الضباط البحريين لتواجه ما هى مقدمة عليه من نهوض وتوثب .

* * *

والحكومات المتباينة النزعات ، قد رسخ فى نفسها أن نهضة الجيش لا تكتمل عناصرها إلا إذا أنشىء فى مصر مصانع للأسلحة والذخائر ؛ وإنها لتعمل جاهدة على أن تقيمها فى أقرب وقت حتى لا يظل جيشها تحت رحمة الأمم الأخرى ، وفى قبضـــــة يدها .

* * *

ولو أخذنا نعدد مظاهر نهضة الجيش فى الوقت الحاضر ، ونجاحه فى أعقاب هذه الحرب لضاقت بنا صفحات الكتاب ، ولكن شيئاً فذا نهش له ونستبشر به ، هو تخلص الجيش ممن كانوا قد تخلفوا فيه من أعضاء البعثة العسكرية الانجليزية فأصبح الجيش مصريا صميما فى إدارته ويده العاملة . ويمكنك أن تقف على نهضة الجيش الرائعة ، إذا طالعت مجلة الجيش المصرى فى أعدادها المختلفة ؛ وأحسست ما يبذله كتابه من جهود جبارة لرفع مستواه ، حتى يأخذ مكانته الجديرة به بين الجيوش العالمية .

ولولا هذه الحقبة الطويلة التى غبرت على مصر ، وهى راسفة فى قيود الاحتلال ولولا ما تكاد به من الأمم الحانقة على نهضتها ، وما يدبر لها فى الخفاء من دعاة الاستعمار ، وأوشاب المتعصبين لكتب الجيش المصرى فى صفحته تاريخاً غير هذا التاريخ ، ولكان موقفنا فى المطالبة بحقنا فى الحرية والحياة غير هذا الموقف ، ولصرخنا من أعماقنا « الحرية أو النزال » .

٨

استكمال سيادتنا القومية وأثره في النهوض ببعض الإصلاح

* * *

استكملت مصر سيادتها القومية أو كادت ، وبخاصة بعد أن صاحت صيحتها المدوية في مجلس الأمن وفي بعض المؤتمرات الدولية ، ثائرة على قيود معاهدة سنة ١٩٣٦ الجائرة ، وقد عززت هذه الصيحة بما قامت به من إصلاح قومي ، من سنّ قانون الشركات ، ومراقبة الأجانب في مصر ، وتمصير الأذاعة ، وإلغاء المحاكم المختلطة ... مما كان له خطره وقوته في حياتنا الاجتماعية والسياسة والاقتصادية .

أما القانون الأول الخاص بالشركات ، فقد دفع إليه أكثرية الشركات الأجنبية في مصر وطغيانها على الاقتصاد القومي ، واصطناع هذه الشركات بعض كبار المصريين ذوي النفوذ والسلطان ، لانفاذ مشروعاتهم الخروج على بعض الأحكام ، وقلة عدد الموظفين المصريين فيها ، وضآلة مايسهم به المصريون في هذه الشركات ، مما لامثيل له في أية أمة من الأمم المتوثبة الناهضة .

ومن أجل هذا كان التشريع معتدلا وعادلا ؛ ففي مادته الأولى يحرم الجمع بين وظيفة حكومية وعضوية مجلس إدارة إحدى الشركات ، وفي مادته الثانية يحظر على الوزير أو المديرين العامين أن يعمل أحدهم عضوا أو مستشارا أو خبيراً في شركة من الشركات ، وأن يكون أربعون في المائة على الأقل من أعضاء مجلس إدارة الشركة من المصريين ، وألا يقل عدد الموظفين عن خمس وسبعين في المائة من مجموع الموظفين ، ولا تقل مرتباتهم عن خمس وستين في المائة مما تدفع الشركة . وألا يقل عدد العمال المصريين عن تسعين في المائة من مجموع العمال ، ولا تقل أجورهم عن ثمانين في المائة مما تدفع الشركة من أجور .

وفي مادته السادسة يلزم الشركة بأن تخصص واحدا وخمسين في المائة من

الأسهم للمصريين، وقد فرضت عقوبات مالية رادعة على الشركة التى تخرج على أحكام القانون ، لنضمن نفاذه وإخراجه إلى النور .

وليس من شك فى أن هذا القانون قد رأب ما انصدع ، وأصلح ما أفسد الدهر وفتح آفاقا واسعة أمام الشبان المصريين ، والعمال المتعطلين، وحقق استثمارا موفقا للأموال المصرية ، بعد أن طال احتباسها ، وضاقت منافذها .

* * *

وأما قانون مراقبة الأجانب ، فقد كان ضروورة ماسة من ضرورات المحافظة على الأمة، واستتباب النظام فى البلاد ، وبخاصة بعد أن ترعرعت المذاهب الهدامة وأخذت سبيلها إلى بعض النفوس المستضعفة، والقلوب المريضة ، وكثرة اللاجئين وزحمة المدن بهم ، وإثارة عوامل الشغب فى الأمة ، ولهذا عمدت إدارة الأمن العام إلى إلزام الأجانب بتسجيل أسمائهم وعنواناتهم ، حتى تضع يدها عليهم إذا أيقظوا الفتنة الهاجعة .

وهو ضرورة ملحة فى وقتنا الحاضر لاسيما وقد أخذت الصهيونية تثير القلاقل وتشغب فى البلاد بعد أن ناصرنا فلسطين فى محنتها وكانت القاهرة قلب العروبة النابض وحصن الاسلام المنيع .

وهو ضرورة من الضرورات لأن السيادة القومية لا تكتمل أداتها إلا بفرض هذه الرقابة ، وحصر هؤلاء الأجانب كما هو الشأن فى أية أمة متحضرة .

* * *

أما تمصير الأذاعة ، فقد حتمه مظاهر السيادة لأمة مستقلة ، وشعب حى له آماله ، وعليه تبعات للنهوض بالأمة ورفع مستواها . ولن يحقق له ذلك ويشركه فيما يلم به، إلا إذاعة مصرية خالصة ، يديرها مصريون أحرار . فأعيادنا القومية

وكفاحنافى سبيل الحرية والمساواة، وغذاؤنا الروحى؛ تتطلب هذا التحرر والاستقلال.

ولقد كان عجيبا حقا أن تعرض قضية مصر على مجلس الأمن؛ فاذا محط الاذاعة تقف ساهمة واجمة، بل إن القسم الأجنبى فيها كان يعرض وجهات النظر الانجليزية عرضا أقوى من الوجهات المصرية.

وقد لمسنا بوادر هذا التغيير والاصلاح فى مناسبات متعددة بعد أن تحررت المحط من الادارة الأجنبية وخضعت للرقابة المصرية، فأذيع منها تمثيلية «حادث دنشواى» ودافعت فى تفاريق من الأحاديث، عن مطالب المصريين الحقة، ونددت بقوات الاحتلال، ومواقف الانجليز من السودان؛ ووقفت تشد أزر العرب فى قضية فلسطين وتذيع فى العالم صيحات التكير لموقف هيئة الأمم من التقسيم، وفيما تذيعه من أغانى وأناشيد تستحمس القوم، وتشيع فيهم الرجولة والطموح.

* * *

وها هى ذى وزارة العدل، أخذت تعد العدة، وتهيئ الأسباب لإلغاء المحاكم المختلطة؛ فتحطم آخر قيد من قيود التشريع فى مصر، وتضع آخر مسمار فى نعش الامتيازات الأجنبية، لينهض القضاء الوطنى بالفصل فى القضايا الأجنبية والأهلية على السواء.

فياله من حادث وطنى هز أعماق المصريين، وأشعرهم بأنهم أصبحوا أحراراً فى بلادهم، قوّامين على وطنهم، بعد أن ظلوا أعواما وآماداً يخضعون لسلطان أقلية أجنبية، تتحكم فيهم، وتنزف دماءهم وتبعث فى روعهم الرهبة والانقباض.

* * *

كل هذا الاصلاح كان وليد استكمال السيادة القومية أو هو حجر الزاوية فى هذه السيادة، وأصبح المصرى اليوم، يحس فى أغوار نفسه أنه رد على الوطن كرامته المهدرة، وأعاد إليه حريته المضيعة؛ وحمل الأمانة المقدسة، أمانة الوطنية والعزة القومية.

الموضوعات الاجتماعية القومية

(ب) التحليل

١

خطب المستر بيفن فقال « لقد غيرنا شعار الثورة من الحرية والإخاء والمساواة إلى العمل والأسرة والوطن » أبسط هذا الرأى وحل غامضه .

العناصر

قيام الثورة الفرنسية لتحرر البشرية من تحكم الأقلية المترفة ، وإلغاء الفوارق الإنسانية — ظفرها بإعلان حقوق الانسان من الحرية والاخاء والمساواة — الانتقاص من هذه الحقوق فى بعض الأزمنة والأحوال — قيام الحرب العالمية الأولى ، وتخليفها اليتم والبؤس وانحلال الأسرة — ارتفاع صيحة الاشتراكية فى أعقابها وفيها دعوة إلى العمل والأسرة والوطن — اعتناق كثير من الدول الكبرى لمبادئها ، كضرورة للتغلب على هذه الويلات ، ورأب هذا الصدع — تمكين الحرب العالمية الثانية لهذه المبادئ الجديدة ـ قيام حكومة العمال فى إنجلترا ، وإعلان الدستور الفرنسى فى نص على هذه المبادئ الاشتراكية — فشو التبطل وكثرة الترمل ، وانتشار الآفات فى مشوهى الحروب أدت إلى قبول هذه الصيحات واعتناق مذاهبها ـ ستظل هذه المبادئ حتى تتغلب الحكومات المختلفة على عقابيل الحرب .

٢

إن الخطر الذى أحدق بالبلاد العربية هو الذى جمع قلوب العرب، ودفع بهم الى أن يكونوا يداً على من عداهم، فكيف ذلك؟ وما مظاهر هذا الاتحاد؟

العناصر

كلنا فى الهمّ شرق — مصر وقضيتها مع بريطانيا — فلسطين ونوايا اليهود والغرب فى تمزيقها — الشام وحاجتها إلى الرقى الثقافى والاقتصادى وتهديدها باليهود — العراق واحتلال الانجليز — شرق الأردن وعدم استكمال استقلاله — المغربان الأدنى والأقصى وأنينهما من الاستعباد.

إقامة الجامعة العربية حيث اختيرت القاهرة مقراً دائماً لها — دفاعها عن حقوق العرب — حمايتها اللاجئين من المجاهدين العرب — إقامتها المؤتمرات المختلفة: ثقافية واقتصادية وقانونية — توجيه سياسة الدول العربية الخارجية — تكوين حلف من بين الدول المشتركة فيها.

وقوف هذه الدول صفاً واحداً فى المؤتمرات الدولية، كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن — دفاعها عن حقوقها المضيمة السليبة — جهادها فى سبيل الانسانية المعذبة مهما كان وطنها — وقوفها موقف الشدة والحزم من كل مايهدد كيانها ويقوض دعائم استقلالها.

التبادل الثقافى فيما بينها، فمصر تمد أكثر هــــذه البلاد بالمربين والفنيين المختصين فى كل ضروب الحياة.

٣

لم تقم حكومات مصر المتعاقبة بعمل جدي لرفع مستوى المعيشة في مصر ، بين ذلك وقدم العلاج الذي تراه .

العناصر

سوء توزيع الثروة فى مصر وعدم التوازن بين الطبقات — إنه ثمرة مرة لجور الحكام وسياسة الاحتلال — وجازة المدة منذ أن آلت أمورنا إلينا — جهود الحكومات المختلفة لرفع هذا المستوى، وقيام وزارة الشئون الاجتماعية بمحاولات وئيدة — الحد الأدنى لأجور العمال مازال عشرة قروش فى اليوم — البون الشاسع بين الحدين الأدنى والأعلى — الكثرة الغالبة من السكان مأجورة ولا تملك شيئاً . الكناس فى الأمم الراقية، كسويسرة، يتناول راتباً شهرياً قدره اثنا عشر جنيها .

والعلاج الذى أراه ، فرض الضريبة التصاعدية على الأموال — وضع قيود على التوسع فى الملكية — تشجيع صغار الملاك باقتطاعهم بعض الأراضي البور لاصلاحها، وتملكها فيما بعد — وضع تشريع لاجبار أصحاب الأعمال والملاك على رفع الأجور ، وإقامة المشافى لعلاج الاجراء والعمال ، وفتح المدارس لتعليم صغار هؤلاء العمال بالمجان — مراقبة أسعار الحاجيات مراقبة فعالة ، والتشجيع على البناء والعمل على خفض أجور المساكن التى غلا ملاكها فى فرضها — التعجيل بتنفيذ مشروعات التأمين الاجتماعى، التى سرنا أن نرى بعضها يخرج إلى حيز الوجود .

ما زال الروح الاجتماعى مفقوداً فى مدارسنا ومعاهدنا ، فكيف ذلك ؟ وما الطريق إلى إيجاده ؟

العناصر

مدارسنا ومعاهدنا يسودها الفرقة والانقسام وعدم التعاون — قلة القيام بالرحلات البعيدة المدى — عدم تأصيل الروح الرياضى ذى الأثر الفعال فى الخلق الاجتماعى — الطالب فى المدرسة المصرية سليب الحرية ، ضعيف الذاتية فهو مسوق من غير توجيه — إقفار المدارس والمعاهد من الأندية — انعدام المجالس النيابية التى تقرر خطط هذا النشاط — جمود صحافتها ونهوض الأساتذة بها — عدم تزويد المكتبات المدرسية بالكتب الشائقة الملائمة لأسنان التلاميذ — المعهد المصرى يسيطر عليه الجمود وتخيم عليه الكآبة ـ فرار الطلبة منه ، وإيثارهم قضاء وقت الفراغ بعيداً عنه ـ عدم توثيق الأواصر بين الأساتذة والطلاب — اقتصار النشاط على أوقات الدراسة — عدم تكوين الجماعات الاجتماعية التى تهيىء الجو الصالح للطالب فى المدرسة ، وتغرس فيه روح البذل والتضحية والعون — ضعف الجماعات التعاونية فى المدارس .

* * *

انتهاج سياسة رشيدة حكيمة لتنمية هذا الروح لما لها من آثار بعيدة الغور فى إيجاد الصلة بين المدرسة والمجتمع ، وإعداد الطالب لخوض معركة الحياة بروح الشجاعة والتساند — إرشاد المربين إلى تقوية الروح الاجتماعى فى نفوس الطلبة ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

ضرب المثل بالمدرسة الأمريكية التى قطعت شوطاً بعيداً فى تقوية الروح الاجتماعى فى طلبتها — إقبالهم عليها وملازمتها ليل نهار — تزويد هذه المدرسة بكل ما تعشقه النفوس الصادية ،من مدرج للمحاضرات العامة،وبناء للرياضة البدنية ،ومكتبة ، ومعهد للفن،وآخر للاقتصاد المنزلى ومصانع ، وأبهاء للموسيقا وحجرة مظلمة للتصوير — انتشار أندية الخيالة فى المدارس وقيام بعضها بتسجيل النشاط المدرسى طوال العام ، وإخراج بعض القصص على الستار الفضى ، وإنشاء محاط للإذاعة المدرسية ، والتدريب على الفروسية ، وإصدار صحف يومية — الافادة من النشاط المدرسى ، وجعله وسيلة من وسائل التعليم .

٥

نجاح الانسان فى معترك الحياة يتوقف على قوة الحاسة الاجتماعية فيه .

العناصر

الحاسة الاجتماعية هى القوة التى يدرك بها الفرد علاقته بالآخرين من أفراد المجتمع ، وإيمانه بأن الإنسان مدنى بطبعه (كما يقول ابن خلدون) .

ليست هذه الحاسة فى الأفراد بقدر واحد — قيام المجتمع الانسانى على التعاون والتعاضد — المبرزون فى المجتمع هم المحببون إلى إخوانهم فى الإنسانية أقوياء الصلة بهم — لم يبرز هؤلاء العظماء إلا بقوة هذه الحاسة فيهم ـ اعتمادهم عليها فى قوة العرض وجذب الجمهور إليهم — لا يثرى التجار ويعظم حظهم من الشهرة إلا إذا أجادوا عرض بضاعتهم وكان فيهم سمو ذوق وحلو حديث وإنها لتنبع من قوة هذه الحاسة .

السياسى المحنك والزعيم القدير ،هو الذى تقوى فيه هذه الحاسة فيشارك الجمهور آلامه ، ويقاسمه أشجانه ، ويسبقه إلى تعرف أدوائه والوقوف على آماله .

الصحافى الراسخ القدم فى مهنته ،هو الذى يغذى الميول المتباينة للشعب ، ويتصل به اتصالا وثيقاً ويكون بينهما تجاوب روحى .

الطالب فى المجتمع المدرسى لا يبرز إلى الصدارة فيه ،إلا إذا كان اجتماعيا بطبعه ، عظيم المشاركة لإخوانه فى نشاطهم المدرسى .

المدرس النابه هو الذى يجذب أسماع الطلبة ، ويحببهم إليه بقوة عارضته وروعة بيانه ، وتوثيق وشيجة المحبة بينه وبينهم .

ترى أى السبل أقوم لنتحرر من نير الأجنبي، ونحقق وحدة الوادى؟

العناصر

اجتماع زعماء الهيئات والأحزاب على كلمة سواء – الاتحاد له أثره العميق فى إرهاب الأجنبى وحل القضية المصرية – الدعاوة القوية لهذه القضية فى البلاد الأجنبية – التقدم بخطا حثيثة لرفع مستوى المعيشة بين الفلاح والعامل؛ والعمل على محو الأمية، ومحاربة التبطل، وغزو ميادين الاصلاح الاجتماعى حتى لا يكون تخلفنا فى هذه السبيل مدعاة لرمينا بالتأخر والانحطاط فى الميدان العالمى.

وضع دستور لسياستنا الاقتصادية والمالية يكون سبيلا إلى استقرارها وعدم اضطرابها.

حزم الحكومات فى معالجة القضية، وعدم التعاون مع البريطانيين – إعلان الحرب الاقتصادية عليهم ما لم يأخذوا فى الجلاء عن الوادى – عدم ارتياد أسواقهم والبحث عن أسواق أخرى نبتاع منها ما نحتاج إليه – انتهاز كل فرصة سانحة للتشهير بانجلترا وخططها الاستعمارية – ألا نتقدم بمعونة ما للقوات المحتلة لنشعرها بالعزلة والانفراد.

* * *

الايمان بحقنا المشروع فى السودان – الوقوف موقف الحزم من حكومة السودان الحاضرة – التوسع فى سياستنا التعليمية الثقافية فى السودان، والاكثار من المدارس فيه – العمل على توثيق العلاقات التجارية بيننا وبين السودانيين – إشعارهم بأن حقوقهم المشروعة ستكون مكفولة لهم بعد الجلاء – عدم الموافقة

على أية سياسة تؤدى إلى انفصام الوحدة الطبيعية التى بين الجنوب والشمال ، بل محاربتها حربا شعواء .

* * *

لن نظفر بحقنا الكامل إلا إذا كنا أقوياء ، ماديا ومعنويا - مازال الحق بيد القوى المبادىء البراقة التى أعلنت فى وقت الشدة ، تنكر لها الانسان العاتى - قتل الانسان ما ما أكفره ! ! مضى عصر الصياح والهتافات ، وانقضى وقت التخريب وقذف الحجارة ، والانقطاع عن دور العلم - على الشعب أن يقرر وعلى الحكومات أن تنفذ . .

٧

الخدمات الاجتماعية ، ميادينها ، ومبلغ جهود مصر فى سبيلها .

العناصر

تهدف الخدمات الاجتماعية إلى رفع مستوى الحياة للرجال والنساء فى الدولة، وتثقيف عقولهم، وتقوية جسومهم ـ لا تقتصر هذه الخدمات على الحكومة دون الأفراد والجماعات ـ تضافر الجهود وحشد القوى من الجميع للأخذ بيد الضعيف ، وتوفير أسباب الحياة للبائسين .

أهم ميادين هذه الخدمات : التعليم ، والمشافى، والعناية بالأمهات والأطفال، وإسعاد البائس، وعون الفقير ، والمحتاج وتقرير إعانات للأيامى واليتامى والشيوخ والتأمين الاجتماعى ضد المرض والتبطل .

عهد مصر بالخدمات الاجتماعية غير بعيد ـ كم فقدنا من صغار ، وقتلنا من أمهات بدوافع الجهل وعدم التبصر ، والاستخفاف بالمعدم والفقير ـ نهضتنا الاجتماعية الأخيرة وإنشاء وزارة للشئون الاجتماعية ـ الاكثار من المشافى والملاجىء ودور رعاية الأطفال ـ العناية بالأمهات الحوامل والصغار ـ إقامة المراكز الاجتماعية للعناية بصحة الطبقات الفقيرة ورفع مستوى حياتهم بزيادة نتاجها ـ إنشاء النقابات العمالية التى أخذت بمبدأ الادخار لاعانة المتعطلين والعجزة ـ إيجاد مكتب العمل للتوفيق بين العمال وأصحاب الأعمال ومحاربة التبطل .

محاربة الأمية ـ جعل التعليم الأولى والابتدائى جبريا وبالمجان ـ تغذية صغار الأولاد ـ العناية بصحة التلاميذ والطلبة ـ القضاء على الأمراض المزمنة والمتوطنة فيهم .

قام الاصلاح الاجتماعى على كواهل الحكومة ـ إغماض أصحاب رءوس الأموال وأصحاب الأعمال وكبار الملاك أعينهم عن المشاركة الوجدانية لرفع المستوى الاجتماعى للشعب .

مازال الميدان فسيحا لمسايرة أبسط المبادىء الاجتماعية فى الأمم الناهضة أنفقت إنجلترا من ميزانيتها على الخدمات الاجتماعية مائتين وخمسة ملايين من الجنيهات فى سنة ١٩٢١ م ثم قفزت بها إلى أربعمائة وخمسين مليونا فى سنة ١٩٤٧ .

مشروع التأمين الاجتماعى ظل فى زاوية النسيان طويلا والآن نحمد الله إذ رأى النور وأخذ مكانه من الوجود ــ كثرة التبطل والتشرد فى أعقاب الحرب الأخيرة ـ انخفاض مستوى المعيشة ، الحاجة الملحة إلى هذا الاصلاح الاجتماعى .

القسم الثانى

الموضوعات العلمية

(أ) النماذج

١

قال أناتول فرانس « التعليم لا يبدأ إلا بعد ترك المدرسة » أتتفق مع الأديب الفرنسي في رأيه؟ ولماذا؟ .

* * *

ما أحكم ما نطق به الكاتب الفرنسي ؛ فالحياة خضم زاخر ، متلاطم الأمواج عاصف الأنواء ؛ لا يشق عبابه، ولا يخوض غماره إلا من ضرى عليها، وكان له رصيد من التجارب، واقتدار على النفاذ إلى أغوار الحياة، والكشف عن أسرارها. فالحياة فن عصى على أفهام أوساط الناس بل على نوابغهم وأفذاذهم، ولا تعنو إلا لمن درسها دراسة عملية ، وراض نفسه على مشقاتها وأهوالها ، وأخذ نفسه بالأناة والصبر ، لا يتعجل النتيجة أو كسب الشوط والحياة سبيلها مشتمل بالظلام ، ملتو أشد التواء ، متحدر في غير استواء ، فلا يرق فيه إلا من أضاءت له بصيرته فكشفت له الحجب المسدلة ، وانجابت أمام ناظريه الغياهب المتراكمة .

والحياة الحاضرة تزدحم بالناس حتى صارت تغص بهم، وازدادت مطالبها حتى أثقلت على الكثرة الغالبة ! فالنابه فيها محسد الفضل على تسنم الذروة ، يصيح به الحشد « أيها الشيطان ، كيف وصلت من الزحام ؟ »

والحياة فيها عنت كثير لما يحيا فيها من أنماط متباينة ، ذات أهواء متضاربة ، فالانسان المتحضر مازال يحمل بين جنبيه إنسان الغابة المتوحش بما فيه من غرائز جامحة فيها أثرة ، وحب للنفس ، وحفظ للنوع ، تدفعه كلها إلى السطوة والبأس والحيف فاذا لاحت له فرصة افترصها ولاذ بالفرار وهنا يقوم التناحر والتدافع والخصام.

ولا يعيش الانسان عيش الآمن الوادع إلا إذا فهم طبائع الناس، واستشف مسكنون صدورهم وعاملهم معاملة الانسان لا معاملة الملك .

الحياة فيها شر كثير ، فعلى من يريد أن يتملكها ويخضعها لسلطانه أن يكون له مجن يتقى به السهام المسمومة التى تنوشه ، وما أكثرها ! وما أقواها ! وأن يلج فى تقدمه من غير توقف أو تعثر ؛ وإلا فاقه غيره أو صرعه من كان أعظم منه حظا من قوة ومعرفة .

وإذا كانت هذه هى الحياة ، فما أبعد المدرسة عن أن تأخذ طلابها بهذه السياسة أو تروضهم على تخطى هذه الأشواك ، ناهيك بالمدرسة المصرية التى بينها وبين المجتمع هوة سحيقة ، وشقة بعيدة .

المدرسة فى مصر لا تعنى عناية حقة بالناحية العلمية أو التطبيقية ، وإنما تقصر جهودها على الميدان النظرى الذى لا غناء فيه ولا جدوى منه ! فهى من ألفها إلى يائها ومن المدرسة الابتدائية إلى الجامعة لا تحفل بتزويد الطفل بالسمات التى لابد أن يتصف بها حتى يخوض معركة الحياة الطحون فى فوز وانتصار ، تلك السمات التى تخلق الانسان خلقا آخر وتدفع به إلى الأمام من الاعتماد على النفس والاستقلال فى الرأى ، والمثابرة على العمل ، والافادة من كل طريف ، والمدرسة المصرية فى موادها وطرق التدريس فيها بعيدة عن محيط الحياة ، ممعنة فى هذا الابتعاد .

ومن أجل هذا أرى أوائل المتخرجين فى المعاهد لا يكادون ينزلون إلى معمعة الحياة حتى تكل سواعدهم وتهن متنهم ولا يجدون فى أنفسهم الجلد على الكفاح والجهاد فيأوون إلى الديوان ، منزوين فى حجر من حجره راضين من الغنيمة بالاياب كما يقال ومن هنا أصابت المدرسة الأجنبية فى مصر نجاحا من حيث أخفقت المدرسة المصرية ، إذ أن الأولى عرفت لهذه الصفات الخلقية حقها

فأحلتها محلا رفيعا وراضت مرتاديها عليها فخرجوا إلى الحياة من غير أن ينطبق عليهم القول المأثور لأناتول فرانس .

***

المدرسة التى يعنيها الكاتب هى المدرسة التى باعدت بينها وبين الأخذ بأساليب المجتمع وقد تنبه إلى هذه الحقيقة كبار المربين فى العصر الحديث فقال أحدهم « إن التلاميذ لا يأتون إلى المدرسة ليستعدوا للحياة ولكن ليحيوا بالفعل » .

وقد قطعت المدارس الأمريكية شوطاً بعيداً فى هذه السبيل فأرسلت أبناءها إلى المصارف ومكاتب البريد والمزارع والشركات وغيرها ليتلقوا دروساً عملية ويقفوا على طرائقها ونظمها .

فأين نحن الآن من هؤلاء القوم الذين فهموا الحياة فى وضعها السليم ! ! .

إن ما نصنعه فى هذه السبيل هو أن نخرج شبابنا نضفى عليهم الألقاب ونمنحهم الاجازات أو الشهادات نافخين فيهم الصلف والغرور ملقين فى روعهم أنهم نفذوا إلى أسرار الكون، وكشفوا مجاهله، وحلوا أحاجيه ومساتيره .

لقد كانت صيحة أناتول فرانس وأضرابه من المجربين هى التى هزت المربين فأهابت بهم للخروج على طرائقهم البالية ونفخت فيهم روحا جديدا هى روح الفهم الدقيق لمهمة المدرسة فهلا أخذنا عنهم ! ! وهلا اهتدينا بهديهم ! ! اللهم إن الشوط بعيد فرضنا على طيه فى قوة واطمئنان .

٢

أ لمصر فى حاضرها ثقافة تتميز بها من بين الثقافات العالمية ؟

* * *

الثقافة خلاصة التفكير فى أمة من الأمم ، ونتاج عقول الأفذاذ من أبنائها فى الأجيال المتعاقبة ، أو هى التراث الفكرى المتميز فى العصور المتباينة ، فاذا حاولنا أن نستعرض هذا التراث ونجليه لنصدر عليه حكمنا العلمى الدقيق ، وجدنا فى طريقنا عقبة كؤودا تلك هى أن الثقافات العالمية لم تعد بينها هذه السدود والحواجز فاختلط بعضها ببعض اختلاطا عجيبا ، وإن شئت الدقة فقل إنها امتزجت امتزاجا جعل من العسير على الباحث أن يردها إلى مصادرها الأولى أو ينابيعها الأصيلة ، فالطباعة الحديثة والمذياع والطيارة وتبادل العلماء والاستشراق وإرسال البعوث ، وقيام الحروب وانعقاد المؤتمرات ، وأكثر منه ، دعا إلى الاتصال الوثيق بين الأمم ومن ثم تبادل الآراء والوقوف على الاتجاهات الفكرية فى العالم .

فالأدباء الانجليز فى بعض قصصهم يستلهمون القصص الصينى ، وينقلونه إلى عالمهم ، والأدباء الأمريكان يقرءون التراث الفرنسى فيتأثرون به وكثيرا ما يظهر هذا التأثير فيما يكتبون أو يصورون من آيات .

بل إنك لترى أن الطباعة الحديثة ونشاط الناشرين ، وباعث الأدب القديم ، أدى إلى إذاعة الآداب العالمية فى لغاتها الأصيلة أو منقولة إلى لغة أخرى ، أو إلى لغات أخر ، مما قرب بين الثقافات المختلفة ، وباعد بين الباحث وبين الوقوف على سمات ثقافة بعينها .

قد يتيسر الحكم فى الأزمنة المتقدمة — وإن كان ذلك عسيرا أيضا — على استخلاص خصائص الثقافة لشعب من الشعوب ، أو جنس من الأجناس ،

فقد ترى للثقافة اللاتينية خصائص ، وللسكسونية أخرى ، وللعربية مايباين كلا من الثقافتين ، ولكنك ترى استحالة ذلك الآن .

بل إنك لواجـــد فى الثقافة العربية مثلا ، أنها تأثرت فى عصر نهوضها بألوان ثقافية أخرى ، كالثقافة الفارسية ، واليونانية ، والهندية للعوامل المتباينة التى دفعت بالثقافة العربية فى هذه السبيل .

* * *

والثقافة السكسونية تأثرت هى الأخرى بالثقافة اللاتينية ، وكلاهما خضع لمنهاج الثقافة اليونانية ، أمّ الثقافات العالمية .

* * *

كان هذا التقديم عنصرا فرضه علينا هذا البحث ، والثقافة المصرية تأثرت ككل الثقافات ، بماضيها البعيد والقريب ، وحاضرها الذى تعيش فيه ، تأثرت بالثقافة اليونانية ، فاللاتينية ، فالعربية ، فالفرنسية فالانجليزية والألمانية .

ولكن النهوض السياسى يصحبه ، بل يسبقه النهوض العلمى أو الثقافى ، وهذا ما كان وقت مجىء الحملة الفرنسية ، التى أيقظت الروح المصرى المكبوت ، وقدمت إليه بعض الغذاء الفكرى ، ليستفيق من سباته ، ويصحو من رقدته ، هنا اتصلت مصر بالفكر العالمى اتصالا محـــدودا ، دفع به إلى الأمام ، أو وسع دائرته يقظة مصر السياسية ، فى عصر محمد على ، الذى أرسل البعوث إلى أوربة ، لتتزود من منبع الثقافة ، ومصدر النور ، ثم توالت البعوث ، واتصل المصريون بالغرب اتصالا تعددت مظاهره وميادينه ، واستطاع المصرى المثقف أن يطلع على هذه الثقافات العالمية ، وأن يتزود منها ويخضعها لتفكيره ، ويقدمها لأبناء وطنه حتى يسيغها ، ويجد فى تذوقها متعة ولذاذة .

اطلع على الكتب المصرية المؤلفة فى الأدب والعلم ، تجد الظل المصرى غير واضح السمات والمعالم ، لأن الأشعة التى تنير له الطريق قوية الضوء ، شديدة الأسر ، ولأنه مازال يحبو ، ولما يتبين أهدافه ، ولما تتأصل ملامحه وشياته .

المصرى المثقف أداته العربية فى كتابته ، فلا مناص من أن يطلع عليها فى مصادرها الأولى ، وأن يقرأ التراث الفكرى القديم ، وإذن فهو متأثر ، من حيث لا يدرى ، بالتراث العربى والذوق العربى .

والمصرى المثقف يقرأ لغات أجنبية ليطلع على التيارات العالمية الفكرية وما جدّ فى العلم من مذاهب ، وما استحدث فى الأدب من طرائق ، ليلحق بالركب الجاد ، ويأخذ مكانه من الحياة العاملة .

والمصرى المثقف مازال مأخوذا بهذه الأضواء الساطعة ، التى تنبعث من الأمم الحية ، التى قدرت العلم والادب قدرهما ، وأحلتهما المكان اللائق بهما ، وأسبغت عليهما من مالها ، ودفعت بهما إلى الأمام .

والمصرى المثقف لم يخلص بعد مما قدم إليه من غذاء روحى عالمى ، وأنى له ذلك وقد طال أسره ، وثقل قيده ، وتمطى ليله ! !

* * *

إن الطريق مازال أمامه وعرا حتى ينطوى على نفسه ، ويعكف على ذاته يستلهمها الوحى والخلق والتصوير ؛ فمصر الحاضرة قد طغى غيرها عليها ، وشغلها عن نفسها ؛ وإن كنت موقنا كما قدمت بأنه عند ما يتاح لها ذلك فلن تكون هناك ثقافة أمة بعينها ، بل ثقافة عالمية خلاصة تجاريب البشرية على اختلاف البيئات ، وتباين الشعوب . على أنه سيحق لنا أن نذهب كما ذهب غيرنا ، بأن البيئة المصرية لها سلطانها على التفكير والابداع ، وأن مصر أخذت تغذى غيرها من الأمم بغذاء دسم شهى ، فيه روح ، وفيه حياة : روح مصر ، وحياة أبنائها العاملين ؟

٣

أنشأت كلية الآداب معهداً أطلقت عليه معهد الدراسات السودانية، فماذا يفيد الوادي منه؟ وما أثره في الثقافة العالمية؟

* * *

أخذت مصر في العصر الحاضر توثق الوشائج بينها وبين الشطر الجنوبي من الوادي، وقد نشطت في ذلك نشاطاً تحمد عليه، ولسنا الآن بصدد تعداد مابذلته في هذه السبيل، فكله مذكور مشهور، ولكننا نتحدث عن أطرف جوانبه، وأعظمها خطراً ألا وهي إنشاء معهد الدراسات لبحث كل ما يتصل بالسودان من شئون، وقد أذيع في الناس أن هذا المعهد سينهض بدراسة اللهجات السودانية المختلفة، وإلى أي المجموعات اللغوية العالمية تنتسب، والتعرف على الوضع الاجتماعي للسودانيين، من نظام القبائل والعشائر، وتقصى عاداتهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، والوقوف على تاريخهم في ماضيه وحاضره، ودراسة جغرافية البلاد دراسة مستفيضة متشعبة، وما يتصل بذلك من المناخ، وطبيعة الأرض، والأجناس البشرية، وارتياد مجاهل الغابات، ومفاوز الهضاب والجبال.

وسيقوم بالتدريس في هذا المعهد متضلعون من العلماء المصريين، الذين وقفوا على أسرار هذا القطر، وحطت رحالهم فيه ردحاً من الزمن.

وسينتظم في سلكه كل من نال إجازة عالية، وله شغف بالتزود من الدراسات السودانية، من المصريين والسودانيين على السواء.

* * *

وإنها لخطوة موفقة من رجال كلية الآداب لو أخلصوا للفكرة ، وأخرجوها على وضعها الصحيح . إذ تتيح للمصريين فرصاً ثمينة يوثقون فيها أواصرهم بإخوانهم السودانيين ، ويهيئون جوا علميا خالصا لمثقفي الوادي ، شماله وجنوبه ، مما يزيد في ألفتهم وتعاطفهم وتعاونهم .

وتمكن المتفقهين فينا من الوقوف على لهجات إخواننا السودانيين ، حتى يتعرفوها ويحزقوها ، ويمكنهم أن يتحدثوا بها إلى رجل الشارع في السودان ، وللأخير منطقه وتفكيره .

بل إن إخراج هذه الفكرة إلى عالم الوجود ، سيوقف المصري على عادات أخيه السوداني ، ولكل عادات وتقاليد . وهذه خطوة فسيحة في سبيل الاتحاد والامتزاج ، والتقريب بين الروحين المتباعدين ، تحت الضغط القاهر للمستعمر . وهي سبيل من سبل الاتصال ، وتوثيق العلاقات ، وتوحيد الأهداف والغايات والثقافات والأخيرة لها عصا سحرية في التأليف بين الأرواح والقلوب .

وهي التفاتة بارعة ، تكسبنا تأييداً وتظاهراً من إخواننا في الجنوب ، فإقبالنا عليهم ، لتعرف مشاربهم ، وتفهم نفسيتهم ، ودراسة تاريخهم ، وتذوق آدابهم ، يريد المتشكك ومن في قلبه مرض ، وفي نفسه خور ، على أن يلتف حولنا ، ويؤمن بفكرتنا ، وينضوي تحت لوائنا .

* * *

وليس من شك ، في أن المصري أقدر أهل الأرض على أن يدرس هذا الجزء دراسة عميقة ، لتوثق الصلات بين القطرين منذ فجر التاريخ ، ولأن الظروف التي خضع لها كل من القطرين واحدة في مختلف الأزمنة والعصور .

ولأن أرواحنا متآلفة ، وقلوبنا متآخية ، فالمصري أخ للسوداني في التاريخ

القديم والحديث، ولأن المصرى أصبر على المشقات والصعاب لما يمتاز به من سماته الصبر والجلد والشجاعة ، فيستطيع طى القفار ، وجوب الصحارى ، وارتياد الغابات ، ولأنه لن يكون وحيدا فى النهوض بهذا العبء ، بل سيشترك فيه أخوه السودانى وإنه لمكسب عظيم .

وإذا كان الأمر كذلك ، فسيقوم هذا المعهد بالاسهام فى التراث العلمى ، والمشاركة فى الثقافة العالمية ، بما يقدمه من أبحاث علمية : طابعها الدقة ، ورائدها الاخلاص .

فيالها من مأثرة محمودة ، ويالها من خطوة ميمونة !! نرجو لها السداد والتوفيق . م ؟

٤

سلاح الدعاوة فى العصر الحاضر

***

الدعاوة هى الاعلان عن أمر من الأمور وإذاعته فى الناس حتى يقر فى نفوسهم، ويؤمنوا به، وقد أصبحت فى العصر الحاضر فنا من الفنون يستند إلى قواعد مدروسة، ويقوم على أسس متينة، لا يحذقها ويبرع فيها، إلا من وقف على نفسية الجماهير، وألم بطبائع البشر، وتفهم عوامل الجذب والتشويق، وأنعم النظر فى تاريخ الجماعات والشعوب.

ولقد فطنت الحكومات الرشيدة إلى آثارها البعيدة الغور فى النفوس، فافتنت فيها، وجعلت لها وزارة أو وكالة وزارة، وأسندتها إلى أقدر الناس فيها للناس، وأشدهم نفاذا إلى أعماق النفوس وطواياها، فما أكثر ما تشيع الشائعات، وما أكثر ما تمعن صحف المعارضة فى التضليل والتهويل من الهنات الهينات. فاذا وقفت الحكومة صامتة، وركنت إلى السكون، صدق الناس الشائعات، وأخذوا ينصرفون عنها، وينفضون من حولها، ويقيمون العراقيل والعقاب فى سبيلها.

وما أكثر ما روى لنا التاريخ عن هذه الحكومات، التى راحت ضحية الذائعات والأباطيل !!.

وقد يكون الحق فى جانب أمة، فاذا ما احتكمت إلى الضمير الدالى تطلب حقها السليب من أمة غاصبة — ولكنها ألحن منها، وأعرف بشؤون الدعاوة — ضاع حقها وسط ضجيج العدو، وإحكام خططه، وقدرته على التمويه والتضليل.

وهذا ما كان فى قضيتى مصر وفلسطين .

فانجلترا فى القضية الأولى ، حشدت قوى دعاوتها وجندت الصحافة والاذاعة الأمريكية والعالمية للنيل عن مصر والمصريين ، وإظهارنا أمام العالم فى زى الأمة المتأخرة المتعصبة ، المتنكرة للديمقراطية فى وقت منحتها ، وأنه لا حق لنا فى المطالبة بالجلاء ، لأننا غير أمناء ولا أوفياء !! .

ويعلم الله من منا الخائن ، ومن منا الحانث !! .

والصهيونية فى القضية الثانية ، أخضعت الصحف وشركات الأنباء العالمية للدعاوة للدولة اليهودية ، مصورة الأمم العربية بصورة التعصب والانحطاط والبربرية ، موهمة الرأى العالمى ، أن فلسطين وطنهم وأن العرب غاصبون دخلاء .

لقد قاومت الوفود العربية هذا التضليل ، ولكن بقدر . فما زال العالم الآخر لا يكاد يعرف من أمرنا شيئاً ، ولهذا لم تجد المقاومة ، وضاعت أصواتنا بين صياح الأبواق ، وضجيج الدعاوة .

وقد عرفت مصر خطر هذا السلاح المرهف ، فراحت اليوم تدعو لنفسها لتقف العالم على مبلغ نضجنا ، وفوقنا فى ميادين الحياة المختلفة ، ولأننا نبغى من وراء ذلك أن يؤمن العالم بعدالة قضيتنا ، وأننا أمة لها ماض وحاضر : ماض متضوىء الصفحة ، مشرق الديباجة ، وحاضر كله بطولة وكفاح ، وأن مطالبنا مشروعة لا غلو فيها ولا إسراف .

* * *

ولم تقتصر ميادين الدعاوة على الأمم ، بل تجاوزتها إلى الأفراد ، فالانسان المغمور الذى لا يحس به أحد ، تخلف عن الركب ، ولم يتقدم به عمله ، مهما

جوده وأتقنه ، وكم من علماء وأدباء غرقوا فى لجة التاريخ ، وكانوا من المغمورين ، فراحوا ضحيه الصمت ، وعدم الاعلان !!.

والتاجر الشريف ، الذى يقتصر على ميدانه ولا يتعداه إلى ميادين أخر ، فلا يروج لسلعته ، ولا يعلن عنها ، قد يعيش مستور الحال ، ضيق المجال ، ولكنه يغيب فى أعماق بقعته، وتظل السدود والموانع قائمة بينه وبين العالم الخارجى.

* * *

عرف الناس هذا السر الخطير ، فرصـــــدوا للدعاوة قدراً غير قليل من رأس المال ، إذا ما كونوا شركة ، أو أخرجوا كتابا ، أو أقاموا دعوة أو نادوا بحزب من الأحزاب .

* * *

والدعاوة تضحية من أصحاب الدعوة فى أول أمرها ، ولكنها تعود عليهم فيما بعد ، بالربح الوافر ، والصيت الذائع ، والشهرة العريضة ، فتمكن للداعين فى الأرض ، وتدفع بهم إلى تسنم المجد ، والقبض على زمام السلطان .

* * *

وإذا استندت الدعاوة إلى حق أبلج ، زادته عدالة ووضوحا ، وإذا قامت على الخداع والتضليل ، كانت لها فورتها ، ولكن إلى حين ، ثم تتردى بالدعوة فى قرار عميق إلى غير عودة أو رجعة .

وإذا دعت إلى حق متلفف فى أستار من الحجب ، هتكت هذه الغلالات ، وأعلنته على الملأ سافراً قويا .

* * *

الدعاوة سلاح رهيب . والحاذق من وقف على سره ، وعرف كيف يسدده فيدرأ به عن نفسه ويصمى خصمه .

والدعاوة روح دافقة ، تنسكب فى نفوس الناس ، وتنفذ إلى أعماق قلوبهم حتى يحسوا حرارتها وصدقها ، فيؤمنوا بها وتكون لهم مبدأ وعقيدة .

والدعاوة قوة زاخرة للفكرة ، فتظل فى فم الزمان يرددها ، وفى أذن الأعوام تستمعها ، وفى صحف التاريخ ترويها .

فيالها من قوة !! ويالها من خطر !!

٥

مشكلات الانقلاب الصناعى

* * *

إذا حدث انقلاب صناعى فى أمة من الأمم ، نجم عنه مشكلات اقتصادية، واجتماعية ، وخلقية خطرة ، فمن هذه المشكلات كثرة المتبطلين ، إذ أن استخدام الآلة يقلل من الأيدى العاملة ، ويزيد النتاج،وإذا شعر جمع من الأمة بالحرمان ، ورأى الخطر يتهدده ، لجأ إلى التظاهر والعصيان ،وطالب الحكومة بالاعانات ، وتهيئة أسباب العمل ؛ وأنى لها ذلك ، وقد حذق هؤلاء المتعطلون نوعا من العمل لم يتعدوه إلى غيره ؟

قد تعين الحكومة هؤلاء العمال إلى حين ، ولكنها ستقف عاجزة إذا ما تكاثروا وطال عليهم الأمد ؛ فما ذا تراهم فاعلين ؟ ليس أمامهم إلا الخروج على القانون ، وسلب الدولة أمنها وهدوءها ، والانتقاض على الحكومة، فينتظمون فى سلك المجرمين والمتمردين ، وويل للدولة التى لا يأمن الناس فيها على أرواحهم وأموالهم .

والثورة الصناعية تقلل من جهد العامل ، ولا تقتضيه إلا أقل انتباه ، فقوة الرجل، ومتانة بنائه ، لا يؤبه بها فى ذلك الوقت ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلم لا تتقدم المرأة ، وتزحم الرجل فى هذه الناحية الصناعية ؟ إن أصحاب الأعمال يشجعونها على الانضمام إلى الفئة العمالية لضآلة أجرها ؛ وقلة صخبها ، وبعدها عن الحركات العمالية الخطرة .

وهذا ما يزيد مشكلة البطالة تعقدا ويدفع الشبان إلى العزوف عن الزواج، وتكوين الأسر ، ذات الأثر القوى فى بناء المجتمع ، وتقوية دعامته .

وهذا أيضا ما يدفع المرأة إلى المطالبة بحريتها ومساواتها بالرجل ، بل إنها

التغالى فى هذه الحرية ، فتخرج على رسالتها فى المجتمع ، وترى البيت غلا من الأغلال ، والزوج قيدا من القيود التى يجب أن تتحلل منها .

وينشأ عنه كذلك قلة الدخل للعامل ، مما يغرى زوجه وفتياته بالانحلال الخلقى ، والارتكاس فى حمأة الرذيلة .

بل إن كثيرا من العمال يضيقون ذرعا بأنفسهم ويشعرون بثقل العبء ، وشدة وطأته عليهم ، فيرتكبون جريمة الانتحار .

وسيقل دخل الدولة لما كانت تجبيه من أموال على السلع الواردة من الخارج ، فلا تجد مناصا من أن تغل يدها بعض الشىء ، عن الاصلاح الداخلى ، لتوازن ميزانيتها ، وتقابل هذا العجز الطارئ .

ولكن هذه المشكلات الحادة تتضاءل أمام الكسب العظيم للامة من جراء هذا الانقلاب ، فالزراعة وحدها لا يمكن أن تواجه ضرورات المدنية الحاضرة ، ولا ترفع مستوى معيشة القائمين بها ، بل إن الزراعة تعتمد أكثر ما تعتمد على الصناعة : فآلات الحرث والزرع والحصد ، وموادالتطهير والقضاء على الآفات ، تتطلب أن تكون فى الأمة صناعة ناهضة ، تمدها بما تحتاج إليه حتى تضاعف حاصلاتها ، وتحلو ثمارها .

وقد عانت الأمم الزراعية ما عانت حتى كادت تختنق فى أثناء الحربين الماضيين ، حيث وقف النتاج الصناعى أوكاد ، وحدت سبل المواصلات ، وتعذر النقل إليها ، فحرمت السماد للزرع ، والآلات الحديثة للحرث ، وضاق سكانها بما حرموا من كساء وما أصابهم من ضراء .

إن الدولة المتيقظة تأخذ للامر عدته ، وللحادث الطارىء أهبته ، وترسم لها سياسة بعيدة المدى ، شديدة المرونة ، قابلة لسنة التطور والتدرج . م ؟

« لم تتقدم طرق الزراعة فى مصر عما كانت عليه قبل عصر بناة الأهرام » وضح هذه العبارة ، وبين ما يمكن أن تجنيه مصر من كسب اقتصادى ، اذا ما غيرت من هذه الطرق العتيقة ، ونمشت مع ركب الحضارة .

* * *

إذا أتيح لك الاطلاع على تاريخ الفراعين ، وقرأت شيئا عن الفلاح المصرى فى حياته اليومية ، وشاهدت طرائقه فى زرع الأرض ، وجنى الحاصلات ؛ لم تجد كبير فارق بينه و بين فلاحنا فى العصر الحاضر . فستة آلاف من الأعوام غبرت على مصر ، وهى لم تخط خطوة إلى الأمام ، وكأن ساكنيها لم يتطاموا إلى ماض سحيق ، ولم يتلفتوا إلى حاضر أليم ، بل انطووا على أنفسهم ، وعاشوا كما عاش أجدادهم من قبل ، على الوسائل البدائية ، والطرق الفطرية .

فما زالت أرض زراعية فى « قنا » تروى رى الحياض ، كما كانت تروى منذ آلاف السنين ، فاذا فاض النيل ، أغرق الأرض حتى إذا انحسر الماء عنها بذر الفلاح البذر ، واستعمل فى تنمية الزرع وجنيه وحصده المحراث والمنجل والنورج والفأس ، يستنفد جهده ، ويشقى فى ذلك هو وعياله وماشيته ليل نهار ، فى رقعة صغيرة من الأرض .

وقد أثبت الاحصاء أن الفدان من الأرض يستنفد طاقة فلاحين ، جلدين ، صبورين ، وما لهما من ماشية . على حين أن الفلاح فى كندا واستراليا ، يستطيع وحده ، بغير معونة ، أن يزرع مائة فدان .

هذا الفارق الكبير ناشئ عن أن الأول يستخدم الآلات الساذجة ، أما الآخر فيسخر الآلات الحديثة الضخمة ، التي تعد الأرض للزرع فى لمحة العين ، وخفقة القلب .

* * *

إن هذه السياسة التى تستلهم الماضى من غير أن تجاوزه إلى الحاضر ، سياسة القاصر العاجز ، الذى يرضى لنفسه التخلف والتصور ، وهى السياسة التى أضرت بنا ضرراً بالغاً ، فألقت بالأعم الأغلب من السكان فى مهاوى الفقر ، وأغوار الجهل ، وأحضان المرض .

لقد نشأ عنها كثرة الأجراء الذين يعيشون ليومهم ، فإذا ما فقدوه فقدوا اللقمة السائغة ، التى تقيم الأود ، وتمسك ذماء الروح ، والملبس الكاسى الذى يقيهم عوادى الجو ، وبطش الطبيعة ، والمسكن الساذج الذى يأويهم من ضراوة القر ، ويرد عنهم قيظ الصيف ، ويشيع فى أجسامهم اللاغبة برد الراحة والطمأنينة .

* * *

ونتج منها قلة حاصلاتنا الزراعية التى لا تكاد تكفى حاجاتنا الضرورية . وإنه لمن الخزى والعار أن تلجأ مصر ، ذات التربة الخصيبة التى تجود بأطيب الثمر ، وينمو فيها أنضر الزرع ، ووارف الشجر ، إلى بلاد أجنبية تسألها الدقيق ، والقمح ، والفاكهة .

يالها من معرة لا يحمل وزرها فلاح مصر المثابر ، بل من فى أيديهم أزمة الأمور .

إن مصر تنفق آلاف الجنيهات بل ملايينها ، فى سرف وبذخ ، وتضن بها على الثورة القومية !!

إن الملكية الصغيرة هى طابع تقسيم الأراضى الزراعية فى مصر ، ولذا كان من العسير أن نطالب الفلاح ، الذى يملك أقل من فدان ، أن يشترى سيارة حرث أو ما إليها ، بل إن ذلك ليكون شططاً وإجحافا ، فلو باع هذا الفلاح ما يملك ليشترى ـ وحده ـ هذه السيارة لقعدت به الأسباب .

وإذن ، فليس أمام الحكومة إلا أن تشجع الجماعات التعاونية بالمال ، حتى تبتاع هذه الآلات ، وتقوم بتأجيرها للفلاح بثمن زهيد ، لا يبرم به ، أو تثقل عليه .

* * *

قد يقال إن إدخال هذه الآلات ، ورى الأرض ريا مستديماً ، يكثر من المتعطلين ، ويبخس أجور العمال من الفلاحين ، وإنا لندفع هذه التعلة بأن مصر الناهضة فى صناعاتها ، أو ما ينتظرها ومن مستقبل باسم ، سيستنفذ كل القوى العاملة ويحشدها فى هذه الميادين المستحدثة .

فكهربة خزان أسوان ، وإنفاذ قانون الشركات ، وتقدم الطيران ، وإقامة مصانع الأسلحة ، كل هذا سيتم فى القريب العاجل ، فلا تشرق شمسنا على مُقعد أو متبطل أو مشرد .

* * *

ولن نختم هذا المقال من غير أن ننوه بجهود وزارة الزراعة فى هذا الميدان .

فقد عملت جاهدة ، على اختيار البذور وانتقائها ، حتى كان القطن المصرى مضرب المثل فى متانته ، ونعومته ، وطول خيطه .

وفى إدخال كثير من الثمار إلى القطر المصرى ، وتحسين نوعها ، حتى أصبحت تضارع ، بل تفوق كثيرا ، ثمار الأمم التى تشتهر بزرعها .

ونذكر لها كذلك فتوحها فى تحسين طرق الفلاحة ، واستثمار الأراضى ، والرى الدائم .

ولو كانت لمصر سياسة زراعية قومية ثابتة ، لا تتأثر بسقوط الحكومات وتغيرها ، لكان لنا فى الزراعة شأن غير هذا الشأن ولم نرم بهذا القصور ، ولم نتخلف هذا التخلف .

وإن الزمن جدير بالنهوض بالمستوى الزراعى فى مصر ، والأخذ بأسبابه التقدم ، وبخاحه بعد الثورة الفكرية ، والفورة الاجتماعية ، والوثبة الاقتصادية ، التى سيطرت علينا بعد الحرب العالمية الأخيرة .

٧

اللغة العربية وصيحات التحرير

قامت فى عصرنا الحاضر دعوات قوية ، تنحو كلها نحو التيسير والاستجابة لروح العصر ، فجماعة تهدف إلى تيسير الكتابة العربية ، وإن تباينت فى المنهج. إذ أن بعضا منها يحاول اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية ، وحجته فى ذلك، اختزال الحروف ، والتحلل من علامات الضبط المنفصلة عن الحروف الرابكة فى النطق ، وسهولة القراءة بها ، واتفاقها واللغات العالمية الحية فى الكتابة ، وبعضها الآخر يرى الابقاء على الحروف العربية ، وتحويرها بعض الشيء حتى لا يكون إعجام ، أو ضبط بالشكل ، وما زال المجمع اللغوى يفاضل بين الطريقتين ، ولعله يقطع برأى فى المستقبل القريب ، فلا تكون هـذه البلبلة ، التى تصيب الصغار والكبار على السواء ، عندما يعرضون لقراءة النص اللغوى ، ولا يكون هذا العنت ، الذى يشق على الطابعين والناشرين باللغة العربية .

وجماعة تهدف إلى تيسير النحو ، وتبسيط مسائله ، حتى يسيغه المتعلمون ، فلا تضيق صدورهم باللغة العربية، ولا تحشى أذهانهم بكثرة التعاريف ، وزحمة المصطلحات ، ولم تتفق هذه الجماعة أيضا على مذهب ، ولم تخضع لرأى بل تفرقت بها السبـل ، فبعضها يحاول تغييرا شاملاً لمسائل النحو ، وتغيير مصطلحاته ومسمياته ، وبعضها الآخر ينادى بالاقتصار على الضرورى منها، الذى لا معدى عنه والتغيير فى طريقة تدريسه ، والتأليف فيه .

وفئة تحاول إخضاع اللغة للبيئة والزمان ، فالبلاغة العربية فى عصورها القديمة لا تواثم الذوق العصرى ، ولا تلائم التفكير الحديث وما جد فى العالم من

تطور ، بل من وثبات سراع ، فلنصطنع تعابير أخرى نستلهمها من التراث الفكرى الحديث ، ونستوحيها من الحياة التى نحياها ، والعصر الذى نعيش فيه وذلك بأن نقضى على المترادفات فى اللغة ، والمتشابهات ، أو نضيق من نطاقها حتى نيسر على الناشئين ، والمتعلمين من الأجانب . ولأن العصر يضيق بهذا الاسهاب الذى لاغناء فيه ، ولا جدوى منه ، ومسايرة لهذا الروح العالمى الذى يضج بالتكرير ، ويرى فى قلة كلمات اللغة ترويجا لدراستها ، والتأمل فيها فى البلاد الأخرى من العالم ، كما فعل الأستاذ (أو جدن) فى اللغة الانجليزية وأذكر أنى قرأت قصة أدبية ، لم تزد كلماتها المستعملة على مائتين .

وأن نعبر بروح العصر ، وما فيه من كشوف ، ومخترعات ، وما لكل منها من ميزات ، ولنزايل عصر الناقة والخيام ، وما يستتبع ذلك من حياة فطرية ساذجة ، إلى حياتنا المتحضرة ، المترفة ، الزاخرة بألوان الفنون ، الفياضة بضروب التفكير .

وهناك ألفاظ علمية عالمية علينا أن ندخلها كما هى ، من غير تحوير ، أو تحوير ضئيل ، فى لغتنا العربية كما فعل العباسيون عندما واجهوا الحضارات المختلفة للامم الناهضة ، فدخلت اللغة العربية كلمات كثيرة منها : أستاذ ـ إبريق ـ كابوس ـ قانون ـ الماس ـ انبيق ـ تلميذ ـ جدول . .

* * *

وهناك حركات أوغل من هذه تطرفا ، كأن تدعو إلى التحلل من اللغة العربية والالتجاء إلى العامية ـ التى هى لهجة من اللهجات العربية أو انحراف ضئيل عن النطق العربى ـ ، أو تدعو إلى التخلص من بواعث التعقيد فى اللغة ، كخلوصها من المثنى ـ كما فعلت الانجليزية أخيرا ـ ، وإلزام جمع المذكر حرفا

واحدا ، وسير جمع المؤنث،والممنوع من الصرف ، على نسق الأسماء الأخرى.
وأن تكون لغتنا لغة علمية، تتوخى الدقة ، وتنحو في أسلوبها الأسلوب العلمى،
وعدم ترجمة الأسماء المستحدثة ، والوقوف بالسكون على أواخر الكلمات .....
إلى آخر هذه الدعوات والصيحات .

* * *

وليس من شك، فى أن بعض القائمين بهذه الدعوات على حق فى آرائهم،
فاللغة تتطور تطور الكائنات التى تنطق بها للافهام فى أوجز وقت ، ومن
أقصر طريق ، فاذا وقفنا بها حيث كانت فى القديم ؛ عاشت فى معزل عن
الحياة العاملة الناشطة ، وكانت وقفا عـلى أفراد قلائل ، ولم تنقل إلينا أروع
آيات الفن ، وأصدق صور التعبير .

وكلنا يحس هذه الصعاب التى وقفت فى طريقنا ، أيام كنا ندرس هذه
اللغة ؛ بل من منا من ملك أعنتها ، ولم يلحن فيها ، أو يخطئه التعبير ؟

بل إن اللغة العربية فى عصرنا ليست لغة الجماهير ، بل ليست لغة المثقفين
منا فالطبيب ، والمهندس ، بل معلم المواد الأخرى ، لا يتأتى له التعبير عما يخالجه
من إحساس ، أو يجيش فى صدره من آمال ، أو ينثال على عقله من أفكار ؛
فى لغة عربية فصيحة .

وليس العاب على هؤلاء . ولكن العاب على من وقفوا من هذه الصيحات
موقف الجمود ، فلم يستجيبوا لها ، أو يسيروا فى موكبها حتى توقف الركب
أو كاد،لولا ماتحدر إلينا من أصداء هذه الصيحات فيما اعتزمت وزارة المعارف
من تغيير المنهج ، وتسديد الطريقة .

إننا نعرف جميعا مواطن الداء ، ولكننا ننصرف عن الدواء . ولست
أدرى ألمرارة فيه ؟ أم لأننا لم نؤمن بمقدرته على الشفاء ؟

٨

مصر فى مسيس الحاجة الى خبراء فنيين من ابنائها ، لتواجه بالتطورات العالمية . وضح ذلك ، واذكر ما ترى من مقترحات فى هذه السبيل .

* * *

تواجه مصر فى حاضرها أزمات اقتصادية خطيرة لما انتاب العالم من اضطراب مالى يرزح تحت وطأته بعد الحرب العالمية الشؤمى ، ولما تقيمه بريطانيا من عقاب فى سبيل تقدمنا ، ونهوضنا ، واعتمادنا على أنفسنا . وللتضخم المالى الذى نشأ عن وجود قوات الاحتلال فى مصر ، وكثرة اللاجئين إليها من الأجانب ، وللنهضة المصرية التى تهدف إلى الاستقلال فى المال والاقتصاد ، وإلى الاعتماد على الصناعة ، اعتمادنا على الزراعة .

كل هذه الأسباب أثارت مشكلات عصية فى مصر ، وتطلبت نوعا من الخبراء فى المال والاقتصاد والصناعة ، لمعالجة هذه المشكلات والتخفيف من شرتها ، فعقلية الجيل الماضى لا تستطيع التغلب على هذه العقبات الكأداء ، لأنها تتطلب نوعا آخر دقيقا من الدراسة ، لم يعرض لهم من قبل ، ولم يواجهوا به .

لقد تطور العالم ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأخيرة تطورا عنيفا ، بل حدث فيه انقلاب جوهرى فى السياسة ، والاقتصاد ، وكل ضرب من ضروب الحياة فما بالك بمصر التى لم تتحلل من السياسة الأجنبية إلا منذ أمد قريب . فمصر الآن مقدمة على كهربة خزان أسوان ، تريد أن تفيد منه صناعيا . وهى بصدد إنشاء مصنع للسماد فأى نوع من السماد يكون أخصب للتربة المصرية ، وأى الصناعات

أحق بالتقديم ، وأولى بالانجاز ؟

وقد نشأت فيها صناعات فى أثناء الحرب فكيف نحميها من المنافسة الأجنبية وتبقى عليها ؟

وفى مصر تضخم مالى ، فكيف تستنفد أكبر كمية منه ؟ ومصر فى حاجة إلى الدولارات ، حتى تبتاع ماتحتاج إليه من الضرورات ؟ فكيف تحصل عليها وكيف تكثر منها ؟

ومصر مقدمة على تحويل « البنك الأهلى » إلى آخر مركزى حتى تستطيع الحكومة الرقابة عليه : وهل يكون هذا المصرف أهليا ، أو يكون ملكا للدولة ؟

* * *

والصناعة تتطور تطورا عجيبا بعد أن استطاع العلم تحطيم الذرة ، والحصول على مواد أخرى أولية لصنع بعض الحاجات . فلا مناص إذن من مواجهة هذا التطور ، والوقوف على هذا السر البعيد المنال ، والحرب الحديثة غيرت أساليب القتال ، واستندت إلى عنصرى السرعة والمفاجأة فى حركاتها وضرباتها ، وأمدها العلم بفنون من الأسلحة الفاتكة لم تكن معروفة من قبل ، وأصبح النصر بيد العلماء لا القادة ، وتوقف الظفر على قوة الاختراع لا على شجاعة الرجال .

* * *

بل تفصّ كل ميدان من ميادين الحياة ، تحس حرارة الاصلاح ، وتلمس سنن التبديل . وعلينا أن نختار أحد السبيلين إما أن نقف منها موقف الجمود والتراجع إلى الماضى ، نستلهم العلاج منه وهذا لن يقول به من فيه

مسكة من عقل ، أو أثارة من تفكير .

وإما أن نتطور تطور الزمن ؛ ونتلون تلون العصر ، ونواجه الريح العاتية .
وهذا سبيل البصراء من الأحياء ، وعلينا أن نسلكه ؛ ولن نستطيع ذلك إلا
إذا أفدنا من أبنائنا النابهين فى الاقتصاد والسياسة والصناعة ، فبعثنا بهم إلى
الخارج ، ليقفوا على التطورات العالمية الحديثة ، مذللين لهم ما يكون فى طريقهم
من صعاب ؛ مهيئين لهم الجو الصالح لمتابعة دراستهم فى الجامعات الجيدة والمعاهد
العلمية ، والمصانع الفنية .

على أن نسند إليهم المناصب الرفيعة فى الدولة ؛ ونجعل منهم قادتنا فى الاقتصاد
ورأس نهوضنا فى الصناعة ؛ وأن نرصد لهم مكافآت علمية قيمة إذا ما وفقوا
إلى نظرية من النظريات ، ووضعوا بحثا من البحوث العميقة ؛ وأن نجرى على
الموفقين منهم فى الصناعة الرواتب ، ونمدهم بالمال ، لاجراء تجاربهم ، وترقية
فنهم الصناعى ، والسير به قدما إلى الأمام .

* * *

إذا فعلنا ذلك ، تغلبنا على كثير من مشكلاتنا ، وواجهنا تطور الزمن ،
ودفعنا بمركبتنا إلى صدارة الموكب الحضارى العالمى ، وإخال مصر قطعت شوطا
فى هذا السبيل . ؟

١

الموضوعات المحللة

مامدى تقدم علم الكيمياء الصناعية ، فى العصر الحديث ؟

العناصر

تقدم طرق البحث فى العصر الحديث — خطر الملاحظة والتجريب فى البحوث العلمية ، طفرة العلماء بما أطلقوا عليه علم الكيمياء الصناعيه — إتساع ميادينه وما يقدمه للانسان من خدمات جلى — نفاذه إلى كل ضروب النشاط الانسانى .

من نامى نشاطه وأفضاله على الانسانية .

ا — صنع السماد الذى يكسب الأرض الزراعية خصبا وقوة فتجود بأطيب الزرع ويانع الثمـــر ووارف الشجر من غير إضرار بالتربة الزراعيـة — أثرت الدولة التى تنتج هذه المادة ثراء عظيما فـلا يكاد فلاح فى أية ناحية من نواحى المعمورة يستغنى عن السماد .

ب — المطاط : من أخطر الصناعات فى العصر الحاضر فمنه تصنع إطارات عجلات السيارات والطيارات والدبابات والبارجات والدراجات والعربات وحلمات الأثداء للصغار ولعب الأطفال والأكر ، والمماحى والأحذية وخراطيم المياه ولانغالى إذا قلنا إنه يصنع منه ثلاثون ألف صنف .

حـ — الزجاج : هذه الصناعة وإن أمعنت فى القدم إلا أنها فى العصر الحديث

قد أصبحت أكثر تقدما إذ زاد صفاؤها واشتدت صلابتها فأقيمت منها القصور واستحدثت أنواع لا ينفذ منها الرصاص، وبعض منها أصبح شديد المرونة والمطاوعة فصنع منه الملابس والأحذية وما إليها .

والحرير الصناعى ، والأصباغ، والصابون وغيرها مما يضيق بنا المجال عن عده وإذا كان لهذا العلم فضله على الانسانية والتقدم بالحضارة والتخفيف من متاعب البشرية فانه من أشدها فتكا بالانسان والقضاء عليه وتمزيقه بما اخترعه من قذائف ومفرقعات وغازات خانقة فهو سلاح ذو حدين .

ولخطر هذا العلم ستقيم الدول الناهضة مؤتمرا له فى أمريكا فى العام القابل .

٣

تطور الصراع بين العلم والدين

العناصر

للعلم ميادين يغزوها تفترق غالبا عن ميادين الدين — فى بعض الأحايين تتكشف للعلم ظواهر تخالف شروح رجال الدين للكتب المقدسة — ثورة رجال الدين وتأليب الجماهير على العلماء - اضطهاد هؤلاء والتنكيل بهم — ضرب المثل بجاليليو الايطالى الذى قال بكرية الأرض وما ناله من سجن وتعذيب — العصر الوسيط وعصر البعث ظهر فيهما الصراع قويا رهيبا .

ففيهما كانت قوة الدين وتأصل العقيدة وظهور الخطوات الأولى فى البحث العلمى فكان لابد من الصدام والصراع — اصطناع رجال الدين طرائق العلم للذود عن الدين والعقيدة — نهوض العلماء بتبعاتهم فى شجاعة أدبية نادرة — تقدم العلم على رغم ما ألقى فى سبيله من عقاب — أكثر الصيحات من المتشددين فى الدين والمتعصبين من رجاله — لم تسلم مصر فى نهوضها من هذ الصراع — تكفير العلماء الذين يغلون فى آرائهم العلمية ، وتهجم الدهماء عليهم — حدث هذا الصراع عند ماألف الأستاذ على عبد الرازق بك كتابه « الاسلام وأصول الحكم » والدكتور طه حسين بك كتابه « فى الشعر الجاهلى » ومن قبلهما قاسم أمين بك عند إذاعته كتاب « تحرير المرأة » وأخيراً الأستاذ محمد خلف الله فى رسالته « الفن القصصى فى القرآن » ومظاهرة الأستاذ أمين الخولى له فى آرائه وما ذهب إليه .

قد يبعد العلماء فى آرائهم ، وقد يغار رجال الدين على عقيدتهم ولكن حرية الرأى والقول يجب أن تكفل للفريقين ، وأن يتجادلا بالحكمة والموعظة الحسنة وألا يلجأ إلى التشهير والتنديدفليس هذا من سمة العلم ولامما رسمه لنا الكتاب

٣

أترى رأى القائلين بأن المدرسة المصرية يجب أن تعنى بالعلوم الطبيعية أكثر مما هي عليه الآن ؟ ادعم رأيك

العناصر

يعتبر القرن التاسع عشر فيصلا بين ماضى العلم وحاضره ـ تقوم الكشوف العلمية والوقوف على أكثر الظواهر الطبيعية ـ علم الحياة يوقفنا على التطور للكائنات الحية ويقضى على كثير من الأوهام والأباطيل ـ الصناعة سبيل القوة والثروة فى عصرنا ـ هى لا تخطو إلى الأمام إلا بالعلوم الطبيعية ـ العالم فى السلم والحرب مدين لهذه العلوم ـ الوقوف على الأسرار الكهربية أصبح من الثقافة العامة للفرد جهل الطالب المصرى جهلا مقبوحا بالعلوم الطبيعية ـ طغيان العلوم النظرية والرياضية على ثقافاتنا ـ لم نتطور تطور الزمن ـ كان تحطيم الذرة العامل الأول فى الانتصار فى الحرب

الأسلوب العلمى لم يسلك طريقه المعبد بعد إلى أقلامنا وتعبيرنا ـ الدقة فى التفكير والأداء أثر من آثار الأسلوب العلمى ـ ربط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول رهن باحلال الثقافة العلمية محلها القمين بها — ما زلنا نقع تحت تأثير الخرافة ـ بعدنا عن دائرة البحث العلمى التى تقوم على الملاحظة والتجريب .

الايمان بقوة العقل يؤصله فى الفرد دراسة العلوم الطبيعية ـ التسليم بخطر العقل تسليم برقى الجنس البشرى ، ومن ثم الاجماع على أن الغاية من الحياة العمل لخير المجموع والتخفيف من حرب الطبيعة التى تشنها على الانسان .

٤

تقدم الرصد الجوى فى السنوات الأخيرة والافادة منه فى ميادين الحياة المتباينة .

العناصر

١ — الرصد الجوى هو التنبؤ بالحال الجوية القابلة — اقتصر هذا التنبؤ فى الغابر على يوم أو يومين — تطوره فى السنوات الأخيرة والوقوف على الحال الجوية لمكان ما قبل وقوعها بأسبوع — تحقق النبوءة فى أغلب الأحيان .

٢ — (ا) الافادة من التنبؤ فى الحرب العالمية الثانية وبخاصة ألمانيا — اختيارها الأوقات المناسبة للهجوم كما حدث فى بولندا فقد ظل الجو صحوا طوال هذا الغزو — غارات الطائرات لا تصيب النجاح إلا إذا كان الجو صافيا والريح رخاء — قد يستخدم الضباب المتكاثف فى تفلت السفن الحربية من حصار الطائرات الجوية — هطول الأمطار وما يتبعه من أوحال ، وتساقط الثلوج ؛ وهبوب الريح العاتية تعرقل تقدم الجند وتعوق سير المعركة .

ب — استخدام هذا التنبؤ فى الشركات « السينمائية » فتعد عدتها لمواجهة الصعوبات الجوية إذا ما أخذت فى تصوير المناظر فى الخارج .

حـ — الافادة منه فى شركات الخدمات العامة (النور والمياه والغاز) فيوقعها على الوقت الذى تصيب فيه الصواعق أسلاكها الكهربية ، وموعد نزول الأمطار وامتلاء الخزانات وما إلى ذلك .

ء — مأثره على التجار والزراع فى موسم الزراعة فنزول البرد أو هبوب الريح قد يسبب خسارة جسيمة تبلغ الآلاف من الجنيهات .

٣ — تقدم الأمريكان ، والألمان ، واليابان فى الرصد الجوى إلى حد الاعجاب والاعجاز

٥

قال هنرى فورد الامريكى : إن التقدم العلمى خلال الخمس والعشرين سنة المقبلة سيفوق التقدم العلمى خلال الألف سنة الماضية أيد ذلك بما عرفت من كشوف علمية فى أيامنا الحاضرة ؟

العناصر

لا ينبلج النهار إلا وتطالعنا أضواؤه بجديد اختراع ـ أثر الحرب العالمية الثانية فى الكشوف العلمية ـ كان الظفر فيها مرتبطا بالسبق فى التفكير العلمى ـ كان أعظم كشف قدمته إلينا تحطيم الذرة ـ حدوث أعظم انقلاب فى العلوم الطبيعية والكيميائية ـ الافادة من هذه الظاهرة فى تسيير القطر والسفن والسيارات والطيارات بأيسر جهد وأعظم سرعة ـ ما زالت التجاريب تترى والكشوف تتلاحق.

« التلفزيون » أصبح الآن حقيقة واقعة ـ قيام طبيب عالمى باجراء عملية جراحية وتأثر تلاميذه ومريديه خطاه بهذا الاختراع الحديث ـ لقد كانوا قبل يعانون مشقة النظر إليه لكثرتهم ـ لقد شاهد القيام بالعملية ألوف منهم قامت الخيالة بدورها فى هذه السبيل ولكن « التلفزيون » بدأ يزحمها.

الكشوف الخطيرة فى عالم الطب. وضع السيدات حملهن من غير إحساس بآلام حادة ـ العقاقير الطبية التى أفادت فى علاج كثير من الأمراض المزمنة « البنسلين » وقدرته العجيبة فى شفاء كثير من الأمراض تقدم جراحة العين تقدما فات الخيال.

تطور علم الكيمياء وبخاصة الصناعية. فقدت أمريكا المطاط الطبيعى فى مبدأ الحرب العالمية الأخيرة ولكنها استعاضت عنه بالصناعى الذى فضل الأول فى مزاياه وعظم نتاجه

« يدعو نفر من الناس إلى توحيد اللغات القومية فى لغة عالمية » فيما يبعث دعوتهم ؟ وهل ترى تحقق حلمهم ؟

العناصر

هذه دعوة متجددة إذ أن تاريخها ليس بالقريب أول من قام بهذه الصيحة شلنلر الألمانى فى سنة ١٨٧٩ م مطلقا اسم ڤولبك على اللغة المستحدثة ـ بعد تسع سنوات ظهرت لغة « الأسبرانتو » العالمية وكان لها شأنها وخطرها فانتشرت فى أنحاء قصية من العالم وهى من صنع العالم الروسى الدكتور زمنهوف — اعتراف عصبة الأمم المنحلة بهذه اللغة فى سنة ١٩٤٧م — قيام لغات أخرى ولكنها لم تصب نجحا كهذه اللغة — خفوت الدعوة لها فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة — تجدد الصيحة أخيرا بعد أن خمد سعير الحرب — يهدف دعاتها من وراء دعوتهم إلى القضاء على الحروب فاللغة مظهر من مظاهر القومية فى الأمم وعامل من عوامل التفريق بينها — تيسير التفاهم والمعاملة بين بنى الانسان على تباين أجناسهم ومذاهبهم — لن يتحقق حلمهم في أن تكون هذه اللغة لغة عالية فكل أمة تعتز بتراثها وتعمل على تخليد ماضيها فكيف تقطع أوصالها بالاقدام على هذه المحاولة ؟

قد ينجح هؤلاء الدعاة فى جعل « الاسبرانتو » لغة إضافية إلى جانب اللغة القومية ـ لن يضير الأمم ذلك لأنها تكون أداة تفاهم بين المثقفين فى العالم أجمع ـ من درس هذه اللغة رأى فيها يسرا فهى تكتب كما تنطق ؛ وقواعد النحو فيها قليلة من غير شذوذ ويمكن التصرف فى الاشتقاق منها فى غير عنف أو مشقة كما هو مرسوم محدود فهى كما قال عنها الأستاذ العقاد « إنها أيسر لغة على المتعلم بلا خلاف .

تفكر الدولة فى إنشاء « بنك للتسليف الصناعى » فما الغاية التى نرمى إليها من وراء إنشائه؟ وما الخطة التى يجب أن نختطها لنكفل له النجاح والسداد؟

العناصر

التفكير فى هذا المشروع قديم قدم النهضة الصناعية الحديثة — ألجأت مصر ظروف الحرب القاسية إلى أن تنهض بالصناعات فيها — لم تعد مصر قطراً زراعيا فقد ازدهرت فيها الصناعة وأصبح فى محيطها من الصناع مايزيد على المليون — معاودة النشاط الصناعى فى الأمم المتحاربة — تدفق الصناعات على مصر — خطر المنافسة الأجنبية على صناعاتنا الناشئة — لابد لهذه الصناعات من سياج متين يحميها خطر هذه المنافسة ويدفع بها إلى الأمام - الهدف من إنشاء المصرف تشجيع الصناعة المصرية وحمايتها بمد القائمين بها بالمال فكم من مصانع صغيرة يعوزها المال لتخرج من الضيق إلى السعة ومن الدائرة المحدودة إلى مجال أوسع يجب ألا يقتصر المصرف على القروض بل يتجاوزها إلى القيام بدراسات علمية واقتصادية يمد بها أصحاب الصناعة المصرية بأن يستعين بالخبراء والاخصائيين قصر القروض على ذوى الحاجة من المتخرجين فى المدارس الصناعية وأصحاب المصانع الصغيرة والوسطى — لاتعطى هذه القروض إلا بعد التحقق من حاجة طالبيها — إلزام المقترضين بتنظيم حساباتهم حتى يكون المصرف على بينة من أوجه الصرف — عدم تعقيد الاجراءات فى المصرف حتى يغرى الناجحين فى الصناعة بتوسيع مصانعهم .

القسم الثالث

الموضوعات الأدبية

النماذج

١

ليس للمرء فى صراع الواقع الا سلاح واحد هو الخيال .

* * *

من المقرر فى علمى الاجتماع والنفس أن الانسان المتحضر قد تحدرت إليه سمات الانسان الأول التى يطلق عليها الغرائز ، من حب التملك ، والظهور ، والسيطرة والقتال والجنسية ، وإشباع هذه الغرائز أصبح يخضع الآن لسلطان الشرائع السماوية ، والقوانين الوضعية ، وعادات القوم وتقاليدهم وما تواضعوا عليه . وفى الانسان نزعة إلى التحرر من هذا السلطان ، والتحلل من هذه الأوضاع ، والعودة إلى حياته البدائية الأولى ... حياة الأدغال والأحراش . ولكنه يرى أمامه هذه السدود المنيعة ويصادف فى طريقه هذه العقبات المستحكمة الحلقات ، وإذا هو فى صراع عنيف بين ما يجيش فى نفسه من ثوران ، وما يتمثل أمامه من تشهير المجتمع به وتعذير القانون له ، هذا الصراع العنيف إن لم يجد له خلاصا أو متنفسا : أدى به إلى الانفجار الرهيب الذى يمزقه أشلاء أو يجعله مضغة الأفواه ، أو عبرة للمارقين والجادين على السواء .

ولم تشأ الطبيعة أن تجعل الانسان يرتكس فى هاوية الفناء بهذا الصراع ، بل زودته بالقدرة على التخيل : هذه القدرة هى التى تكسر من حدة الصراع ، وتقلل من العقد النفسية ، وتحمل المرء على أجنحتها الخفاقة إلى عوالم أخر تحقق له حلمه اللذيذ الذى يسيطر على إحساسه ، ويصطرع فى نفسه ، ويجيش فى صدره ويملك أقطار فكره .

فحلم اليقظة ، وحلم النوم ، وقراءة قصة ، أو حضور مشهد ، كلها مظهر من مظاهر التخيل والفرار من الواقع الشديد الوطأة ، الثقيل العبء .

فهذا طالب كبا به الجد العاثر، وتملكه اليأس الخوار لأنه أخفق فى الامتحان أو لم يبرز إلى الصف الأول، فإذا ما وقعت عينه على بطل من الأبطال، أو عظيم من العظماء، أو سمع بثرى من الأثرياء قعد به الحظ فى أول حياته، فتعثر فى خطاه ثم بسمت له الحياة فى خواتيمها انفرجت أسارير الطالب وانشرح صدره، ثم أخذ يجعل من نفسه هذا البطل أو العظيم أو الثرى، ويعاود كفاحه من جديد فى أمل وإشراق .

وهذه فتاة قد نضجت أنوثتها، وأخذ قلبها يتطلع إلى فتى أحلامها وزوجها المرتقب فلما أبطأ عليها، خلت إلى نفسها، وانطوت على ذاتها، وجعلت تحلم بأنه عاد إليها وتقدم لخطبتها، وأنه أجمل ما يكون طلعة، وأكمل ما يكون رجولة وأنضر ما يكون شبابا وقد ترى طفلا يدرج، فإذا نفسها تشرق وعينها تومض وقلبها يتفتح ويحملها الخيال على زورقه السحرى إلى الأمومة والأسرة، والهناءة والسعادة .

وكما أن المرء له قدرة على التخيل، فالجماهير والأمم لها مثل هذه القدرة فالأمة التى حرمت القتال، أو حيل بينها وبين الغزو والتوسيع، تستهويها البطولة الحربية، وتشبع خيالها المعارك الدموية، وتروج فيها المبادىء الثورية فليس بعجيب إذن أن يعجب الجمهور المصرى بقصص عنترة وأبى زيد، والروايات الحربية التى تمثل على المسرح أو الشاشة .

وقد يشتجر الخلاف بين رئيس ومرءوس، أو بين ظالم ومظلوم، فلا يجد الأخير من وسيلة يثأر بها لنفسه وقد كبلت الحياة يديه وآذته بأصفادها إلا أن يتخيل أنه انتصر على الباغى، وانتقم لكرامته وشرفه، وإذا هذا التخيل يروح عنه ويخفف ما أصابه من ألم وما لحقه من هوان .

وقد تثقل الحياة على حى من أحيائها لداء عضال أو فقر لاذع ، أو تخلف في مضطرٍ بها ، فلا يهونها عليه ، ويطامن من وطأتها إلا أمله الباقى فى الدار الآخرة من نعيم مقيم ، وحياة رافهة وادعة .

فليت شعرى أى سلاح هذا الخيال !! بل أية قوة أودعها الله فى الإنسان لتحمله على أجنحتها الرفافة إلى حيث الصفاء النفسى ، والاشراق الروحى ، والاطمئنان القلبى ، فى عالم يزخر بالاضطراب ويموج بالأرزاء والأوصاب !!

٢

فى الفجر

فى الفجر يتثاءب الصباح الهاجع بعد أن قطع فى سبات عميق ليلا ما أطوله وما أحلكه ! !

وفى الفجر تنساب إلى الكون الشعاعة الأولى من النور الحق والضوء الصادق ، فتطارد الظلام الرهيب ، والسكون العميق ، الذى هو بالموت فى أشبه .

وفى الفجر ينشق سكون الليل عن رفيف الطير ، وزقزقة العصفور ، وتغريدة البلبل ، وشجو الكروان ، وصياح الديكة يحيى النور ويهجو الظلام.

* * *

وفى الفجر ينساب صوت المؤذن فى الفضاء فى عمق وصفاء ، فيطرب له المؤمن ، ويزيل مضجعه ، ويأخذ طريقه إلى بيت الله ليؤدى فريضة الله.

* * *

وفى الفجر يثوب الشاعر إلى رشده بعد أن هدّه السهاد ، وحُم من التفكير والتأملات ، وأخذ سلطان النوم يستبد به ، ويثقل رأسه ويشيع الخدر فى جسمه ! !

ها هوذا يفارق قرطاسه ليودع الطبيعة المتثائبة ، ويرشف من كأسها المترعة ، وجمالها الحى ، ويتزود من بسمتها الغامضة التى يرى فيها أروع المعانى ، ويستشف منها أجمل الآيات .

وها هو ذا يغادرها إلى مهاده ، متعثر الخطو متثاقل المشى ، متحاملا على نفسه ليبدأ رقاده من جديد . وقد تغنى بجلال الفجر فى أعذب الأناشيد :

الفجر حلم على الروابى * يهبط من مسرح السحاب
على القباب على الرحاب * رسالة الحق والصواب
لأخريات الدجى الكذاب * سدت عليهن كل باب
فاندفق النور فى الشعاب * كالنبع كالسيل كالعباب
فردد الكون حين كبر * لقدرة الخالق المصور
الله أكبر * الله أكبر

* * *

وفى الفجر يعود الضال إلى مثواه بعد أن احتسى كأس اللهو حتى الثمالة ، وضرب فى بيداء الغواية اللافحة ، ولج به الهوى فى مطارح الضلالات المحجبة وقضى الليل شاردا سادرا .

* * *

وفى الفجر تتفتح أبواب السماء ، مستجيبة دعوة المظلوم الخافتة ، مكفكفة دموع البائس السخينة ، مخففة قرحة المكروب الناغرة .

وفى الفجر يهب كل حى إلى العمل الحى فيبدأ كفاح العاملين الصابرين فيحملون معاولهم ، ويدفعون عرباتهم ، ويسوقون ماشيتهم ، ويشقون طريقهم فى أرض صلدة ، وأدغال موحشة ، وريح عاتية، وأشواك دامية ليهيئوا لأنفسهم لقمة سائغة وكسبا حلالا .

* * *

وفى الفجر تتساقط قطرات الندى على أوراق الأشجار ، وثغور الأزهار ، فاذا الأباريق متلألئ ، يجذب لمعانه النفوس الشاعرة ، والقلوب الصادية المتفتحة لجمال الطبيعة الوادعة ، المقبلة على العب من دنانها ، والاستياف من عبيرها ، والتذوق من روحها .

وفى الفجر ينداح النور على أبهاء السكون كأنه رسول السماء يبارك الأرواح الراقدة ويبعث فى العالم المسحور النشوة المشرقة وهنا تصغى الأبدية فى قدسها الأسنى إلى لحن الجلال والخلود .

* * *

وفى الفجر يشع نور جديد على عالم جديد ، يعلن ميلاد يوم جديد ، بأسلوب جديد، وروح جديد فهو الفارق بين النور والظلمة، والخير والشر والسكون والحركة ، والجمود والنشاط .

* * *

وفى الفجر نسمات ونفحات ، نسمات عاطرة ، ونفحات مشرقة . . . . يستبشر بها الناس ويرون فيها الأمل الباسم ، والمستقبل الوضاء فاذا ذكرت كلمة «الفجر» اقترنت بالبعث والنهوض ودبة الحياة والنشور ويمن الطالع والسعود .

٣

اكتب قصة عربي مجاهد

***

فى هذه الارض المقدسة التى يضطرب فيها شتيت العقائد والأجناس ،والتى تضج تربتها بالدماء الزكية المراقة ، وتغلى مراجلها بالجاحمات الهدارة ،ويتنفس جوها من معقود الدخان وثائر الغبار ، ويسطر تاريخها أروع المآسى وأخطر المعارك نشأ « عبد الرحمن » من أسرة عربية عريقة ، لها تاريخها المجيد،وسجلها الحافل بالذيادعن هذه الأرض التى يقدسها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

لقد كانت حياة عبد الرحمن سلسلة متصلة الحلقات من المعارك والحروب ، وأصبح ذلك المغامر الذى يرى فى القتال غذاء لروحه وفى ميدان النزال راحة لنفسه وفى أوقات الصيال تطامنا لشرته ، وكأنه أحد أولئك الأبطال الذين أعدتهم الأقدار ليكونوا حراس الشعلة المقدسة التى أودعها الله فى الكون.

كانت هذه الحياة زادا لخلقه المطبوع على قوة البأس والشكيمة ؛ ووقودا لروحه المتوثبة ،وآماله العراض، فلم يخضع لقانون ولم يحفل بدولة، ولم يأبه لحكومة بل عاش فى هذه الجبال الوعرة ، التى لاتطأها إلا أقدام الجبابرة من المجاهدين الأحرار .

عاش فى صحبة من رفاقه الذين آثروا العيش معه على الأهل والأتراب والبنين والصحاب ؛ فقد كان على شدته وسطوته حلو الحديث ، رضى النفس ، بعيد الهمة ، واضح القصد ، فيه وثبة الروح ، وفورة العزيمة ، وشعلة الايمان.

***

ولم يقطع عبد الرحمن وصحبه صلاتهم بذوى قرابتهم وإخوانهم .

بل كانوا يختلفون إليهم بين الفينة والفينة يواسونهم فى شدائدهم ، ويقاسمونهم أتراحهم فإذا مادت الارض من تحت أرجلهم وصاروا فى حرج وضيق ، أسرع إليهم هؤلاء المجاهدون أو كتيبة عبد الرحمن بالعون والنجدة فتمعن فى الأعداء ضربا وتقتيلا ، وتحمل عليهم حملات صادقة جارفة ، فاذاهم صرعى بين يديها ، وإذا أجسادهم أشلاء متناثرة .

إنها مقاتل والدم يصرخ فيها : « الويل للكافرين » .

و « فلسطين للعرب » .

ويظل عبد الرحمن فى غارته على العدو الكثير العدد ، القوى العدة ، أياما وشهورا ، لايهدأ ولا يفتر حتى يجنح المتحاربون إلى السلم . فلا يجد عبد الرحمن بدامن الاعتصام مرة أخرى بوطنه الرحيب ، وملجئه الحصين : الجبل الأشم .

وتلاحقت نجدات عبد الرحمن لبنى وطنه ولكنه عاد فى أخراها ، وفى عينه دمعة ، وفى قلبه قرحة ، وفى حلقه غصة لقد أحس بالوحشة تجثم على صدره ، وبالانقباض يسيطر على نفسه ، فكثير من أصدقائه الكماة سقطوا فى ميدان الشرف والقتال وغيبتهم أرض المعاد ، وراحوا إلى غير رجعة .

* * *

لقد فارقت تلك الابتسامة ثغره ، وغامت على وجهه سحابة قاتمة ، وامتلأ قلبه بالوجد والشجن ، وأسلم نفسه للهواجس المقبضة والخواطر المقلقة ، فبدا شارد اللب ، موزع القلب ، ساهم النظرة ، ناحل العود حتى قلق عليه البقية الباقية من إخوانه وبطانته وإن تظاهر فى حضرتهم بالاقبال عليهم والاستماع إليهم .

وفى ليلة قمراء ، جلس عبد الرحمن فى فم خبائه يتطلع إلى القمر بضوئه الألق ، وكأنما كان واحة لروحه تهفو ظلالها فتهدهد فى نفسه المحزونة أساها

فاذا دقات خافتة ، تتراءى إلى سمعه ، وتسرى فى عروقه ، فتمس شغاف قلبه. ثم تعلو هذه الدقات رويدا رويدا ، فيتكشف له أنها وقع حوافر جواد أصيل. غيهب من مقدمه ، وقد حمل قذافته ، ويكمن للفارس الطارق بالليل : وما أن حاذاه حتى شهر عليه غدارته وأمره بالوقوف ، فصدع إلى الأمر فقال له : من الفارس ؟ قال : ألا تعرفه ؟ فوجم عبد الرحمن لهذا الصوت ، إنه صوت ابنة عمه: ميساء . فأقبل عليها صائحا دهشا : ابنة عمى ميساء !! . . . . . ومن قدم بك الساعة ؟ أجابت : لقد فارق الحياة عمك متأثرا بجراحه الناغرة فى هذه الثورة الجائحة وتركنى وحيدة فآثرت أن أتحرر من هذا الجو المقبض فى المدينة ، والذى يذكرنى بالفواجع والويلات ، وأن أنضم إلى زمرة المجاهدين الأحرار فأتحين الفرصة السانحة لأسدد الضربة المسمومة ، والطعنة النجلاء ، إلى العدو المسوق الذى يعبث فى أرضنا فسادا، ويحاول أن يجلينا عن مواقعنا ،والذى قتل والدى الحبيب . إن كل قطرة من دمى تصيح « الثأر !! الثأر !! » وإن رفات أبى لن يقر فى مضجعه ، ولن يهدأ فى رمسه ، حتى آخذ له بالثأر من قاتله .

أفتعاهدنى وصحبك على إسعادى إذا سنحت بارقة من أمل ؟ فلم يتمالك عبد الرحمن نفسه حتى أجاب « لبيك ياأختاه لبيك ، إنى معاهدك » ثم ضرب لها سرادقا وأحضر لها الزاد ، ووطأ لها المهاد ثم غادرها إلى فسطاطه يفكر فى أمره وموقفه من ابنة عمه ميساء .

ولم يطل به التفكير حتى بيت أمرا ، واعتزم حلا ، وذلك بأن يعقد على ميساء ويتزوج منها فتخفف ما ألم به من وجد ، وما خيم فى أفقه من وحشة .

وبعد أيام قلائل فاتحها فى هذا الأمر فقالت : ياعبد الرحمن إنك أخى وابن عمى ، وإنك لنعم الزوج أنت . ولكنك تعلم أنى ماجئت إلى هنا لتشفق

على وتتزوجنى فأشغل عن الجهاد بحق الولد ورعاية الزوج ، بل قصدت هذه البقعة المتحررة لتعينني على الأخذ بالثأر ، وتخليص الوطن من غاصبيه فقد آدتنى أثقال الجاثمين عليه .

وإنى أخذت على نفسى موثقا أن أعيش فى شظف وخشونة ، ودربة على الرماية والقتال حتى تلوح الفرصة فأكون فى طليعة المجاهدين .

* * *

مرت السنوات حتى بلغت السبعة عشر عدا ، وإذا النفير فى هذا العام يدوى فى أجواء أرض الميعاد داعيا إلى النضال والنزال ، ويتردد صداه فى الجبل الأشم حيث كتيبة عبد الرحمن ، وفى طليعتها ميساء العذراء .

يالها من بشرى زفت إلى القوم فعمرت نفوسهم بالأشراق وغمرت قلوبهم باليقين !! !!

ويالها من صيحة أرعدت فرائصهم ودوت فى جنباتهم ! ! !

ويالها من لحظة هاجت ما فى حفيظتهم ، وأثارت ما فى طواياهم !!!

لقد ظلوا هذه الأعوام الطوال وهم يمنون النفس بهذه الوثبة التى ستزلزل الأرض ، ويهتز بترديدها القادم من الأجيال .

* * *

لقد كانت كتيبة عبد الرحمن أول خط فى خطوط الدفاع ، وأول كوكبة فى قناصة العرب ، وأقدر ذادة من الفدائيين .

وها هوذا عبد الرحمن يبر بوعده ، وهذه ميساء تقاتل فى الصف الأول لتنتقم للدم المهدر وتدحر المالىء الغاصب هاتفة من أعماق قلبها : « النصر للعرب والمجد للعروبة »

قمت برحلة الى أسوان، فصور ما شاهدته بين ربوعها.

زايلنا القطار فى مدينة أسوان بعد رحلة طويلة شاقة ، ثم ألقينا أمتعتنا فى فندق وركبنا السيارة إلى جزيرة « فيلى » حيث قصر « أنس الوجود » وبينما كانت السيارة تأخذ طريقها إلى الجزيرة كنت نهبا للتفكير فى هذا القصر أو هذه القصور التى ترددت فى شعر شعرائنا، وألهمتهم بعض الفرائد . فقال فيها « شوقى » قصيدته التى مطلعها :

أيها المنتحى بأسوان دارا * كالثريا تريد أن تنقضا

وردد العقاد :

رعى الله من أسوان دار اسحيقة * وخلد فى أرجائها ذلك القصرا

وتمثلت إيزيس ـ إلهة الحب والجمال . وأم حورس إله الشمس ، وزوج أوزوريس العظيم تتربع على عرشها فى هذا القصر الخالد .

* * *

وفجأة وقفت بنا السيارة أمام شاطىء الجزيرة فركبنا زورقا صغيراً يجدف فيه نوتيان ، أحدهما شيخ كبير والآخر صبي صغير ، وأمسك بالسكان طفل ضئيل . وكانوا يتحادثون بلغة لا تفهم — هى لغة النوبيين — فقلت فى نفسى : رحمك الله ياأبا الطيب حين قلت فى شعب بوان من قلب محترق ونفس متقدة.

ولكن الفتى العربى فيها * غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان

نسبة إلى أنس الوجود أحد أبطال « ألف ليلة وليلة » كما يذكر ذلك الدليل الانجليزى للآثار مصر Baedekers, Egypt

ولما امتد بهم الوقت ، أخذوا ينشدون أغانى بلغتهم الخاصة . فلم أفهم منها إلا كلمة « ياأروسه » أى ياعروس .

ثم شغلت عنهم وعن جماعتنا بهذه المناظر الطبيعية الخالدة ،مناظر الصخور السوداء التى تطل علينا برأسها الشامخ ، وقد تناثرت فى الجزيرة تتكسر الأمواج على أسافلها . وبهذا الجو الرائع فالهواء سجسج رقراق يصافح الوجوه الباسمة ، ويقبل الثغور الطاهرة ،وينفذ إلى القلوب الراقصة ، فيثير فيها أروع الأحلام وأشعة الشمس الذهبية الدفيئة تنسج حوالينا فى إحكام وروعة رداء شفافا لامعا ،فأحسسنا حرارة الجو اللذيذة تسرى فى عروقنا،وتدب فى أجسامنا دبيب الغناء فى الأوصال .

عبرنا إليه النهر ظهرا كأننا * عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى

وبعد أشار نوتى إلى سطح طفا فوق الماء وقال : «هذا هو القصر » فصحت به : ويحك أيها الرجل ! أهذا هو القصر ؟ قال : نعم ولكنه فى غمرة الماء لا يتكشف منه إلا سقفه وأعلى جداره فاقفال خزان أسوان فى هذا الوقت جعل الماء يطغى على هذه الجزيرة وما فيها من رائع الآثار ، فزفرت زفرات حرى من كبد مقروح على هذه الكنوز الثمينة التى حيل بينى وبين رؤيتها . وقلت : ما أروعك يا « شوقى » حينما أنشدت :

ما لها أصبحت بغير مجير * تشتكى من نوائب الدهر عضا

هى فى الأسر بين صخر وبحر * ملكة فى السجون فوق حضوضى

ثم أمرت الرجل أن يطوف بهذه الكعبة المنتهكة الحرمات ،التى يحوم السكون فوق ذراها ، وترى فيها من القداسة أسرارا مجنحة وأخيراً عدنا والنظر بها معقود وإليها مشدود ، والنفس تذوب حسرات عندما تذكر قول شوقى فى روعتها :

صنعة تدهش العقول وفن * كان إتقانه على القوم فرضا

ثم فاءت النفس إلى رشدها عند ما ذكرت تشبيهه الرائع :

كعذارى أخفين فى الماء بعضا * سابحات فيه وأخفين بعضا

ثم ركبنا السيارة — كرة أخرى — فسارت بنا إلى إحدى روائع الفن الحديث . إلى خزان أسوان . فما أن اقتربنا منه ، حتى طالعنا هذا السد المترامى الأطراف ، الذى لا تبلغ العين مداه فتعلقت أعيننا وهو به يقوم سامقا شامخا رهيبا ومجموع فتحاته مائة وثمانون ، تنبثق المياه فى هذا الوقت من عشر منها ؛ ومع ذلك فقد كانت المياه تندفع من الخزان موارة صاخبة ، هدارة متدفقة ، وكأن رذاذها دخان معقود ، أو هباء مثار ، وما أعجب من قال :

موار ماء ، ثائر الدخان * كالنقع قد ثار على الفرسان

مصطفة فى حلبة الرهان * قد غلب الصوت على الآذان

فبات أدنى الهمس كالأذان * مستويين ليس يسمعان

وبعد أن تناولنا غداءنا واسترحنا قليلا ، صحبنا دليل إلى جزيرة « الألفنتين » فركبنا زورقا والماء مصطفق الخفقات كأنها أجنحة الملائكة والشمس فى فلكها العلوى تنحدر إلى الغروب فى خفقة القلب الملتاع ، ونظرة العين عند الوداع ؛ وصفرة العليل قد برح به داء عياء :

وودعت الدنيا لتقضى نحبها * وشول باقى عمرها فتشعشعا

ومست هذه الأضواء الباهرة الماء فبدا كأنه حوض مسحور ورءوس الصخور المتناثرة فى هذه الجزيرة قد أحاطت بها هالة عسجدية وهوم الصمت عليها إلا خفق أجنحة من الشعاع ، والهواء بارد محتمل يمس الجسوم فتصحو النفوس الغافية ، ويوقظ المياه الحالمة .

والنيل مصطفق كمن * قد هزه فرط السرور

متدفع الأمواج تر * قص وفق توقيع الخرير

ثم زايلنا الزورق وعلونا إحدى الهضاب ، فاذا الدليل يسير بنا إلى حديقة

السردار أو (اللورد كتشنر) . وقد كانت له فى الماضى الداكن متنزها خاصا .
ثما أن دالت دولته ، وغربت شمسه ، حتى أصبحت عامة للشعب المصرى ، وأطلق
عليها اسم المليك وهذه الحديقة من أجمل منازه الدنيا بل هى صورة من الفردوس
لروعة موقعها ، ورفيع تنسيقها ، واحتضانها أنواعا كثيرة عالمية للأزهار والرياحين
والأشجار . وكنت أود — لو خلى بينى وبين نفسى — ألا أفارق هذا المكان
الرائع المتسامى ، فهو معين جمال لا ينضب ، وذخر حسن لا ينتهى ولا يبين .

وكان الجو فى هذا الوقت خلابا فاتناً ، فانتوينا قضاء بعض الوقت فى نزهة
نيلية، وقد انضم إلينا جماعة من المصريين والمصريات ، فأخذ الزورق يدلف بنا فى
رفق وخفة ، والنسيم العليل يصافح الخدود الأسيلة ، ويغازل الشعور المسترسلة ،
ويداعب العيون الناعسة ، والقمر الفضى السارى يصب أنواره مترنحة ويشملنا
بقبسه ، ويحتوينا فى غمرته ، ويحبونا بهدأته ، ويأخذ بنفوسنا لتحلق فى سمائه
الشعرية الصافية ، وظل الجميع يسمر ويضحك ، وأنا أرشف وأنهل من كؤوس
الطبيعة الخالصة ، والحياة الوادعة الوارفة ، والدنيا الباسمة المتألقة ، فالكون أشعة
وأرواح ، وهمسات وتهاويل مسحورة .

وبتنا ليلتنا فى أسوان ثم استيقظنا ، والكون مازال مشتملا بالظلام ، والمدينة
هاجعة ساكنة لا يسمع فيها صوت ولا نأمة ، وركبنا القطار ثانية عائدين على الرغم
منا جميعاً ، إذ أن هذا اليوم الخاطف فى هذا البلد الجميل ، ترك فى نفوسنا آثارا
من الروعة لا تمحى ، وخلف فى مخيلتنا جمالا لا يغيض ، مهما تطاولت السنون
وغبرت الأعوام .

أسوان تزهو حين يذ * بل كل مخضر نضير
بلد تجود له الطبيعة * بالصغير . وبالكبير
لا تستجن شموسه * إلا على غير البصير

أكتب قصة رمزية عنوانها « سبيل الخلود »

وقف الصبى اليتيم فى صحراء الحياة وحيداً شريداً ، تسفعه ريحها العاتية ، وتلوحه شمسها المحرقة ، وترمضه رمالها المتوقدة ، وتقضه بالليل أجواؤها الباردة .

لقد تطلع حوله فلم يجد اليد الرفيقة ، أو القلب الرحيم ، أو الصدر الرحيب . بل رأى ويالهول ما رأى ! ! رأى شبحا مخيفا كئيبا ، يصوب إلى رأسه مطرقة هائلة ضخمة يحملها فى يده، وما كاد يهوى بها عليه ، حتى انبعث من أعماق نفسه صوت هدار قوى يريده على الخلاص والفكاك ، وتحدى هذا الشبح الرابض ، نذير الهلاك والفناء .

لقد كان صوت خلود النوع ، وسورة إرادة الحياة ، وطلائع اليقظة ، يفسح له آفاق الحياة وأحلام المجد .

استجاب الصبى فى غير انتباه لهذا الصوت المتدفع ، ولبى نداء الغريزة الجارفة ، فسار على مهل متعثرا فى أذيال الطفولة ، تائها فى بيداء الكون ، متحاملا على غصنه الرطيب حتى طال به السفر فى الطريق الوعرة ، والسبيل المشتبهة الأعلام . فأوى إلى ذرى هضبة ليهدأ ويستريح ، وإذا جموع المسافرين تطالعه فى صخب ومرح ، وقد امتطوا نجائبهم وجيادهم ؛ لا يحسون قساوة الجو ولا ينال منهم وعثاء الطريق ، فسعى إلى هذه المواكب المتحدرة عساه أن يتعلق بأحدها . ولكنه دفع عنها دفعا ، وأقصى إقصاء فى غلظة وخشونة . فقفل راجعاً إلى مكانه يجر أذيال الخيبة والاخفاق . ثم أنشأ يئن ويتوجع ، إذ لا مسعد ولا رفيق .

هنا دوى الصوت فى أعماق نفسه دفعة أخرى هاتفا به :

« أيها الفتى المتخلف !! إن ماتراه من أمر هؤلاء القوم عرض زائل ، ومتاع رخيص .

ألم تسمع حديث هذا الأعرابى الذى كان يرعى الغنم فى بطحاء مكة ، ثم قام بدعوته فرمى بالحصى ، وقذف بالحجارة ، من سفهاء قومه ، وهو صابر صامد ، حتى شاءت العناية الالهية أن تجعل منه عظيم قومه فكان مشعل الحق الذى يعنو له سمع الزمان ، والمصطفى المختار من بين الأمم ليبلغ رسالات ربه ؟

دع هذه الفراشة الجميلة التى تحوم حول رأسك تقترب من فيك ، فتسكب فيه رحيقها الحلو المنعش اللذيذ ، رحيق المنى والأمل ، ورضاب السلوة والرجاء »

هاهوذا قدعمر قلبه الايمان ، وغمر نفسه اليقين ، فوقف على قدميه فى اعتداد واعتزاز وسار مسرعا فى الصحراء لا يأبه لوقدة الشمس ، ولا صبيب العرق ، ولا سموم الريح .

إنه يغذ السير مرددا نغم البطولة ، منشدا لحن المنى .

ثم لاح له نبع صاف يترقرق ماؤه ، وتتلألأ صفحته ، فتملكته نشوة الطرب ، إنه سيبل أوامه ويطفئ ظمأه عن قريب .

وافرحتاه لك أيها المحزون !! ويابشراه لك أيها المكلوم !! لقد سددت الرماية ، وبلغت الغاية .

إنه يرقل فى المشى ، ويضاعف الجهد . ولكن النبع — واحر قلباه !! — كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

فارتمى الفتى مكدوداً لاغباً ، ينشج فؤاده نشيجا مسموعا ولسان حاله يردد قول المتنبى :

بم التعلل ؟ لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وانتاب الفتى ثورة جامحة ، وألمت به سورة عاصفة ، لقد تكشف له ميزان الحياة المختل ، ودستورها الجائر ، وبدت له حقيقة الانسان سافرة عارية .

ثم أخذ يستحضر فى واعيته السنين الطوال التى رزح تحت أعبائها حتى أصبح هذا الانسان الغريب الملامح والأطوار .

لقد دميت قدماه من بعد الشقة ووعورة الطريق . . . . . .

وكلت عيناه من لظى البيداء وحرورها . . . . . .

وخارت قواه من الجهد الدائب الموصول . . . . . .

فداخله يأس عميق ، واحتواه شك رهيب . . . . . .

هنا تحرك الصوت القديم من أعماق نفسه ، وتحدث إليه فى نبرة الحكيم وصوت الفيلسوف :

« أى فتاى الصادق الأمين . . . . . .

إنى أهنئك فى حرارة وقوة إذ قطعت هذا الشوط المترامى الأطراف ، الممتد الجوانب فأرقت من دمك ، وأفنيت من روحك ، وضحيت براحتك حتى اجتزت هذه العقاب الـكأداء ، التى تتحطم عليها أحلام غيرك من الشباب .

لقد كنت تسير وقلبك يردد :

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى * ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

فانهض الآن أيها الشاب فقد نذرت ووفيت ، وناضلت فأعجبت ، واحمل هذا المشعل الوهاج مشعل الحكمة الخالصة — وسر به فى سبيل الخلود ، وليباركك الله .

مجاهد دافع فى حرارة عن قضية بلاده فى لهجة الظافر، ثم خذله كيد أعدائه فكان وقع الخذلان أليما على نفسه صوره فى الحالين .

* * *

غادر بلاده التى يؤثرها بأغلى الحب وأقواه ، ويعتز بها اعتزاز الأم الرءوم التى خصت وحيدها بأروع الاخلاص وأوفاه .

غادرها وقد شهد ماتعانيه من أثقال وأرزاء ، وما تكبل به من أصفاد وأغلال ، ومايجرح كبرياءها من إذلال واحتلال ، حتى غلا مرجلها وجاش صدرها ، فانتفضت انتفاضة الأسد المحصور محاولة الخلاص والفكاك .

غادرها وقد انطوى قلبه على أمل كبير ، ونفسه على إيمان مكين ، وخاطره على حلم عريض . لأن الحق يؤازره ، والقانون يظاهره ، والظروف تواتيه .

فكيف لايداعبه الأمل ؟ وكيف لا يعمر قلبه الايمان ؟

* * *

وفى الساعة الفاصلة ، وقف يطل من عينيه قلب متوثب ، وتهدر نفسه بالحق المهدر فى شجاعة تصرع قلب الأمان .

فأخذ يفجأ خصمه بما كاد لبلاده ، وما انتهك فيها من حرمات ، وما اقترف من آثام يندى لها جبين الانسانية .

أخذ يعدد ذلك ، ويستعرض مخازيها وطغيانها ، ليشهد العالم وليسطر

التاريخ . وظل ذلك قويا لا يضعف ، صلباً لا يلين ، متدفقاً لا يهدأ ولا يتوقف . وما أن روى غلته ، واستروح من ضرامه ، ونال من خصمه واشتفى من غريمه حتى توقف ليسمع حكم التاريخ أو فصل الخطاب .

وكان حكما ما أقساه ، وما أشد جوره ! !

لقد عمى عن الحقيقة الساطعة ، والأضواء الغامرة ، وصم عن الحجة المجلجلة والصيحة المدوية .

لقد حاد عن الحق ، وجانب الصواب ، وحكم بالهوى ، فى منطق هو محض من الزور وشته الضلالات .

* * *

وكان الحكم فى غير جانبه ، لأن خصمه مازال قويا ، والناس يظاهرون القوى وإن كان على باطل ، ويخذلون الضعيف وإن كان على حق .

ولأن عدوه يجيد المراوغة والمداورة ، ويعرف كيف يحيك المناورة والمؤامرة فانه عندما ضاعت فى الحق أمانيه ، انسابت بين الدول أفاعيه .

ولقد مرن على هذه الأساليب أعواما وآمادا ، وراض نفسه عليها قرونا وأجيالا ، حتى كسب المعركة ، وفاز بأكثر أشواطها .

* * *

لم يكن يتوقع المجاهد خذلانه فى قضيته الواضحة المعالم ، الساطعة البرهان ، فصدمه الواقع ، وحز فى نفسه جور القضاة .

لقد خلا إلى نفسه وأخذ يستحضر فى واعيته الطبائع البشرية ، وناموس الحياة الذى لا يتخلف — مهما أنشد الداعون من أهازيج الحرية ، وأناشيد السلام ، إنها أهازيج يعلو ترديدها فى أوقات الشـدة ، وفيضان الأرض بالدماء البشرية ، وانهمار الدموع السخينة من العيون ، وانفطار القلوب الجريحة من الأحزان والأوصاب .

لقد تمثل لناظريه طغيان القوى ، واقتدار المردة ؛ وسبلهم التى تزينت بمفاتن الشهوات ، وتقنعت بتهاويل القوة ، وإن الحق ينبغى أن تؤازره دعاوة صاخبة رشيدة حتى يقر فى النفوس ، ويتمكن من القلوب ، فلا يكون إلى مرده من سبيل .

لقد سافر مؤمنا بالمثالية ، وعاد موقنا بالواقعية .

فأخذ يحشد قواه ، ويجيش جيشه فى كل ميدان وفى كل ساحة ، ليظفر فى الجولة الثانية ، ويسترد ما ضاع من حق فى المعركة الأولى ...

معركة الحرية والجلاء عن وادى النيل ؟

٧

فى الأدب الشعبى بلاغة

يحفل أغلب كتابنا فى العصر الحديث بأدب الخاصة أو أدب الفرد ، ولا يكادون يلقون بالا إلى الأدب الشعبى الذى يسطر فى دقة وإخلاص ، آلام الأمة وأحلامها ، ويمد المؤرخ بفيض من الآيات التى يستشف منها روح الجماعة وطابعها فى العصور المختلفة . فالتاريخ الحق هو الذى يؤرخ للجماعة لا للفرد ، وللشعب لا للحكومة ، وللجمهور لا للخاصة .

والأدب الشعبى هو الأدب الحى للأمة ، وهو الصورة الفذة التى تعبر عن نفسها ، وتحكى لنا طواياها وأسرارها .

* * *

والأدب الشعبى فى مصر حى ، فيه بلاغة النص الأدبى الكامل ، وبلاغة العبارة . فقصص أبى زيد الهلالى ، وعنترة ، وسيف بن ذى يزن ، وما يشيع فيها من بطولة فذة ، وما تغنى به من قوة الأداء ، وما تتسم به من تسلسل الحوادث ، وما تطبع عليه من الحركة والانفعال ، وما تصور من آمال عذاب تداعب الاجفان ، وشجاعة فائقة تتملك النفوس وتستهوى القلوب ، وما تشبع من رغبات القوم ، وتحقق من أحلامهم فى دنيا الخيال ، وما يشعرون من برد الراحة والطمأنينة عندما تتغنى بما كان لأجدادهم من ماض تالد مجيد ، كل أولئك يضفى عليها سمات القوة والخلود .

وفى هذا القصص استهواء للنفوس ، وتأثير فى الأسماع . فها هى ذى الجموع الحاشدة تقطع ساعات الليل الطوال ، فى غير سأم أو ملل ، مصغية إلى

شاعر الرباب يروى لها ما خاض البطل من حروب ، وما كان له فيها من بلاء ، وما حقق من الخوارق والمعجزات .

ولا تكاد تغفل قصة من هذه القصص جانب المرأة ، وما يفيض به قلب أبطالها من حب دفين لها ، وحنان بالغ عليها ، فقد يكون البطل شجاعا مقداما ، وقد تراه متجهماً كاشراً ، فاذا رنت إليه عين حوراء ، أو بسمت له حسناء ، أو لاحت له هيفاء ، صار فى غرارة الطفل ووداعة الحمل .

وربما خاض فى سبيلها الأهوال ، وأرثت من أجلها الحروب ، وجلب على قومه الأرزاء والويلات .

وهذا ما كان من واضعى هذه القصص الشعبية .

* * *

وإذا انتقلت من بلاغة القصة إلى بلاغة العبارة ، وجدت هذا الأدب يحفل بالتشبيه والاستعارة والكناية ، ويحتفى بالمحسنات والتزاويق اللفظية .

فمن رائع التشبيه قول شوقى فى الفجر :

والفجر شقشق وفاض * على سواد الخميله
لمح كلمح البياض * من العيون الكحيله

ومن حسن التعليل قوله فى الورد :

ياريحة الحبايب * ياخد الملاح
لشوكة جمالك * وضعت السلاح

وأمعن من هذا فى العامية قول بيرم التونسى موريا :

أصبر وأتظاهر * بالفرح والبهجه
والصبر فى الظاهر * والمر فى المهجه

ومن الجناس التام قول الشيخ عبدالله لمابها المنياوى :

ياللى هواك هَوَسْنا * ولا نفعنى حجايب
وفكر علينا هَوَى اسْنَا * مع ساكنات الحجايب

ومن رائع المقابلة :

فى البحر لم فتبكم * فى البر فتونى
بالتبر لم بعتكم * بالتبن بعتونى

ومن بديع الاستعارة قول الأستاذ أحمد عبد المجيد :

بالليل ياروحى أرتل * بالأنين اسمك
وبين خيالى أصور * ياضنين رسمك

واشوف خيالك * من بين دموع العين
أقول له مالك * وفين جمالك فين ؟

وأى صورة أروع وأسمى فى الخيال من قول رامى :

من كتر شوقى سبقت عمرى * وشفت بكره والوقت بدرى

وباستقراء هذه الأمثلة ترى لها خاصية نكاد نفتقدها فى أدب الخواص تلك أنها من وحى البيئة وظل من ظلال العصر ، وقد تستشف منها طغيان السياسة وجور الحكام فعند اعتقال الزعيم الراحل سعد زغلول باشا و نفيه إلى بلاد سحيقة وسلط على الوطن الحديد والنار نفس الشعب عما يكنه لزعيمه من حب و إخلاص بأن أخذ يتغنى بقوله « يا بلح زغلول ، ياحليوه يابلح »

* * *

بل إنك لواجد هذه البلاغة بصورها المختلفة فيما يسميه العامة « القراقوز » و « التشخيص » وما يمثل فى المسارح من روايات هزلية ، وتمثيليات مضحكة بل إن النادرة العامية ، أو الفكاهة الشعبية ، إذا حاولت ترجمتها إلى العربية فقدت ماءها وباخت .

* * *

ألست ترى إذن بعدما قدمت إليك من أمثلة أن الأدب الشعبى فى بلاغته حياة ، وثراء ، ودقة وتصوير ؟

أولست ترى كذلك أن هذا الأدب يفوق أدب الخاصة فى كثير من السمات ، والخصائص ؟

٨

إذا كنت عضواً فى جماعة المناظرات فى معهدك ، وألقى عليكم هذا الموضوع للمناظرة فيه وهو « المدينة خير على العالم » .

وكنت أحد المؤيدين للرأى ، فماذا تقول ؟

* * *

إخوانى . . . . . .

قبل أن نأخذ فى الحديث عن المدنية أخير هى أم شر ؟ يجدر بنا أن نعرف المدنية فنقول : إنها التراث الفكرى ، والسلوك الإنسانى الغالب فى عصر من العصور ، فالعصور التاريخية الأولى ، كانت تتقاسمها مدنيات عالية ثلاث : المدنية الفرعونية ، والبابلية ، والآشورية . ثم أعقبها المدنية اليونانية أو الاغريقية ، فمدنية العرب ثم المدنية الحديثة . ولا شك أننا نقصد فى حديثنا المدنية الأخيرة ، أو بتعبير أدق مدنية القرن العشرين .

وبدهى أن المدنية الحديثة خلاصة المدنيات المتقدمة . فعصر النهضة أو البعث كان عصر إحاطة بهذه المدنيات الأولى من مدنية الاغريق والعرب ، وما أن استوعبها فى خلال القرون السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، والتاسع عشر حتى أخذت شخصيته تتميز فيكون للعصر الحديث تراثه الفكرى الخالص ، وسلوكه الرفيع فى كل ما أقدم عليه أو تناوله من المدنيات الأولى .

ولعمرى إذا كانت المدنية الحديثة شراً ، فالمدنيات الأولى أعظم شراً . ولم يقل بذلك أحد .

بل إن هذا القول يسلمنا إلى نتيجة أخرى حتمية هي أن الانسان نفسه شر خالص ، والوجود شر كذلك ، ونقترب بذلك من الفلسفات التشاؤمية الهدّامة .

* * *

لقد كفلت المدنية الحديثة الحرية الشخصية للفرد . فأصبح الناس جميعاً في مختلف بقاع الأرض أحراراً ، وقضى على الرق والنخاسة قضـــاء مبرماً في المعاهدات الدولية ، قضى عليه أولا في أمريكا ، ثم قضى عليه في إفريقية ، فسائر أنحاء العالم المتمدين .

وساوت المدنية الحديثة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات ، وتجاوزت هذا إلى المساواة بين الرجال والنساء ، فأعطت الجميع حرية التصرف وحرية الانتخاب ، واختفى من عالمنا نظرة الاحتقار إلى المرأة .

هذه المساواة المكتملة من جميع الجوانب ، هي التي مكنت لذوي المواهب من عامة الشعب من الصعود إلى ذروة المجد ، والقبض على ناصية الحكم . وأقرب مثل على هذا لويد جورج وتشمبرلن في إنجلترا ، وســـعد زغلول ومحمد عبده في مصر .

* * *

ولن أتحدث عن الجهود الانسانية التي بذلت للتغلب على قوى الطبيعة وتسخيرها لخدمة الانسان وراحته ، بل لكفالة الحياة له نظرا لزحمة السكان التي شهدها العالم في العصر الأخير .

وسأقتصر على هذا الكشف الموفق الذى اهتدت إليه مدنيتنا ألا وهو الطباعة، التى خلدت النوع الانسانى بتخليد آثاره . فقد استطعنا أن نتصل بماضينا ، وأن نقف على تاريخ أجدادنا ، ومبلغ نهوضهم وتقدمهم ، بل إنه عرفنا معنى الوطن الذى هو « اجتماع الموتى والأحياء على بقعة واحدة ؛ أحياء اليوم وأحياء الغد ، لخروج الأحياء على الموتى ، فيه أذى أولئك الذين أورثونا أدبهم وأخلاقهم وتقاليدهم » كما عرفه أحد كتاب الغرب .

قد يقال إننا نستطيع نقل ذلك عن الرواية . ولكننا كم عانينا نحن فى تاريخ العصور الجاهلى ، والأموى ، وصدر الاسلام . ولولا أثارة من كتابة ما ظفرنا بهذه الكتب المقدسة . وإذا كنا اليوم — والمطابع وكتب الاختزال تحت أيدينا — نعانى من جواء التزيد فى الخبر ، فكيف يكون حال تاريخنا إذا فقدنا هذا الكشف الموفق فى خدمة الإنسانيه ؟ .

ولأنقل إليكم ما قرأته فى كتاب « علم التاريخ » خاصاً بهذا التزيد فى الوقت الحاضر .

عند ما كان المستر لويد چورج رئيساً للوزارة الانجليزية ، زار مجلس العموم رسولا حكومة السوفيت مسيو كراسين ومسيو كمنف ليسمعا خطبة عن پولونيا . وإلى القارئ أقوال شهود عيان هم مندوبو جرائد لندن المسائية الأربع التى صدرت فى نفس اليوم الذى ألقيت فيه الخطبة المذكورة .

جريدة الايفننج ستاندارد :

كان حديثهما ينم عن مجرد معرفة محدودة باللغة الإنجليزيه ، ولكن كان يظهر عليهما أنهما فاهمان كل كلمة قالها مستر لويد چورج ، وهما لم يتابعاه بتشوف فحسب بل كانا أحيانا يعلقان على قوله بتعليقات فيها حياة .

جريدة ستار :

استطاع كراسين أن يتتبع كل كلمة قالها مستر لويد چورج . أما زميله فلأنه لا يتكلم الإنجليزية ولا يفهمها كان كراسين كل بضع دقائق يميل عليه ويهمس فى أذنه بترجمة ما يقال .

جريدة ايڤننج نيوز :

إنهما لم يتبادلا ملحوظة واحدة أثناء كل خطابة الرئيس .

جريدة بال مال جازيت :

كان يبدو على رسولى السوڤيت وخصوصاً مستر كراسين شىء من القلق ولاح عليهما أنهما أكثر اهتماما بما يريان منهما بما يسمعان ولكن بلغنى أن ذلك راجع إلى تعذر متابعتهما كلام رئيس الوزارة .

فاذا كان هذا الخبر قد أصبح على هذه الحال المتضاربة المتناقضة فكيف يكون الحال لو لم تكن الطباعة ؟ .

* * *

ومن مفاخر المدنية الحديثة . وإن شئت فقل من خير مدنيتنا . تهيئة الجو المناسب للعلماء والمفكرين ليقوموا بأبحاثهم فى اطمئنان وعمق ؛ بأن أمدتهم بالأموال الضخمة ، والأجهزة المختلفة ، والأماكن اللازمة ، وأضفت عليهم ألقاب الشرف ، وأنزلتهم من المجتمع منزلا كريماً ، فتقدمت العلوم المتباينة وقارب كثير منها الكمال . وهاك مثالا منها :

علم الآثار : لقد كانت معرفتنا بالتاريخ القديم معرفة سطحية أو أقرب إلى الرجم منها إلى التحقيق .

فالمدنية المصرية لم نكن نعرف عنها شيئاً قبل أن يهتدى العلامة شمپليون الفرنسى إلى حل رموز الكتابة الهيروغليفية . وكذلك المدنيات القديمة للعالم أجمع ، فوقفنا بذلك على معرفة اتجاه أجدادنا فى التفكير وسلوكهم الإنسانى وما كان لهم من أقباس العزة ونبل المجادة فى يقين وتحقيق .

واستطاع هذا العلم أيضاً أن يزعزع من أركان الرأى القائل بأن وجود العالم أو خلقه حدث فى عام ٤٠٠٤ ق . م . إذ أن الباحثين في هذا العلم وفقوا إلى إنسان بيلتداون ، الذى يرجع تاريخه إلى ١٠٠و٠٠٠ سنة ق . م ، وإنسان هيدلبرج ٢٥٠و٠٠٠ ق . م ، وإنسان جاوه القريب من القرده إلى ٥٠٠و٠٠٠ ق . م .

وكانت نتيجة هذا الفتح العلمى ، أن روجعت القصة التى يرويها الكتاب المقدس عن الخليقة ، وخروج الانسان من الجنة ، مراجعة مقرونة بالنقد والتمحيص ، وأعيد تنظيم السجلات التى تتناول أعمال بنى إسرائيل الأولى بحيث أصبحت نافعة مفيدة .

* * *

ولننتقل بك إلى ناحية حساسة فى الموضوع لنرى موقف المدنية حيالها ، من أن المدنية الحديثة مدنية لاعقل لها ولا روح . أو بعبارة أخرى تقوم على المادية ، وتغفل الروحانية ، أو ليس لها بسطة من الخصب الروحى مع أن التقدم المادى يصحبه دائماً التقدم الروحى ، فكيف يتقدم الطب ، وهو عمل محض إنسانى من غير أن تتقدم فى الطبيعة والكيمياء والهندسة وعلم وظائف الأعضاء والتشريح « والبكتريولوجيا » ... الخ وهى مواد مادية صرفة ؟

وإذا قامت المدنية الحديثة على المادة ، فانها لم تغفل الروح . فالعالم الذى يحرم نفسه لذاذات الحياة ، ويعكف على دراساته ، وتمضى السنون فى تحقيقه مسألة من المسائل ، أو علاج مرض من الأمراض قوى الروح ، كبير القلب ، إنسانى النفس . فاقرءوا حياة بيير كورى عالم الطبيعة وزوجه مدام كورى لتروا كفاحها فى سبيل خدمة الانسانية وكشف معدن الراديوم للقضاء على مرض السرطان . فهى قصة عبقرية رواها الزمان وأوقفت خطوها الأيام .

* * *

والآن خبرونى أيها السادة ، إذا نحن لم نعتبر ما قدمته لنا المدنية الحديثة خيراً فأين نلتمسه ؟ أنلتمسه فى الفطرة ونرجع إلى الوراء آلاف الأعوام فنشاطر الحيوان زاده وطعامه ، ونساكن الوحش آجامه وأدغاله ؟ أم نلتمسه فى عصورنا الوسطى حيث يخيم الجهل ويفشو التعصب ، وتشاد السجون الرهيبة ، ويكون المبدأ للقوة ، والحكم للطاغية ؟ أم نلتمسه فى مدنية مثالية فنتخطى بذلك الحواجز والقيود ، ونتناسى الغرائز والميول المتوارثة ، وتقدم البشرية فى طريقها المرسوم وقانونها الصارم ، قانون الأبدية الذى يسير الكون ولا يحيد عنه قيد أنملة ؟!

فتلك « سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

القسم الرابع

المقالات المختـــارة

لكبار الكتاب المعاصرين

١

من جنة الشوك

للدكتور طه حسين بك

دعـــاء

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : علمنى كلمات أتجه بهن إلى الله فى أعقاب الصلوات الخمس ، فإنى أجد فى نفسى حاجة إلى الدعاء فى هذه الأيام الشداد .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : سل الله يابنى أن يعصمك من صغر النفس الذى تضخم له الأجسام ، ومن ضيق العقل الذى تتسع له البطون ، ومن قصر الأمل الذى تمتد له أسباب الغرور .

وكنت حاضر هذا الحديث بين الأستاذ الشيخ والطالب الفتى : فقلت فى نفسى : ما أجدر الشباب المصريين أن يتخذوا من هـذا الدعاء لأنفسهم برنامجاً وشعاراً !

* * *

إخـــاء

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : إن الشاعر يخيرنا بين الوحدة واحتمال الإخوان على علاتهم حين يقول :

فعش واحداً أوصل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

فأى الأمرين تحب لى أن أختار ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إن الشاعر لم يخيرك وإنما ألزمك الخصلة الثانية ، فأنت لا تستطيع أن تنسل من الحياة الاجتماعية ، كما لم يستطع أبو العلاء أن ينسل منها . فاحتمل الحياة الاجتماعية كلها ، واصبر لما فيها من المحن .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : وترى إخاء الإخوان محنة ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : أى محنة .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : كيف ذاك ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إذا وفى لك الإخوان امتحنت فى وفائهم وفرضت عليك المروءة ألا تغتر ولا تبطر ، ولا تستغل الوفاء فتشق عليهم بما لا يطيقون .

وإن تنكر لك الإخوان امتحنت فى تنكرهم وفرضت عليك المروءة ألا تقسو ولا تظلم ولا تتجنى ولا تنتظر منهم فوق ما يطيقون . وأنت ممتحن بعد ذلك فى نفسك ، تفرض عليك المروءة أن تفى لهم إذا وفوا ، وتصفو لهم إذا صفوا ، وتعرفهم حين ينكرونك وتنصحهم حين يغشونك ، وتبرهم حين يغدرونك ، وتعطيهم أكثر مما يعطونك ، وتسير من إخائهم على مثل الشوك -

صدقنى ! إن إخاء الإخوان محنة لا يثبت لها إلا أولو العزم .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : فإنى أوثر الوحدة .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هيهات ! تلك أمنية تبتغى ولا تنال .

* * *

كيـــد

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ما تأويل قول الشاعر :

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها * فتاركها عمداً إلى الله أقرب

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : تأويله أن تارك الصلاة عمداً يعصى الله معصية واحدة وأن مقيم الصلاة كيدا يعصى الله معاصى كثيرة ، يريد أن يخدع الله والله لا يخدع . ويريد أن يخدع الناس ، وخداع الناس إثم . ويريد أن يتخذ الله وسيلة والله غاية الغايات ، وإليه تبتغى الوسائل . فكيف به إذا اتخذ الله وسيلة لأعراض الدنيا وتضليل الناس ! صدق الشاعر :

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها * فتاركها عمداً إلى الله أقرب

* * *

صـــلة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : يروى عن عثمان ـ رحمه الله ـ أنه قال: « كان عمر يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أعطى قراباتى لوجه الله ، ولن يرى مثل عمر » . فأى المذهبين أحرى أن يتبع ؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : لقد أنبأك بذلك عثمان نفسه حين قال : « ولن يرى مثل عمر » والأمر أظهر من أن يحتاج إلى تأويل ، فمن الخير أن يعطى الرجل أقرباءه وأصدقاءه ومن لا يمت له بصلة ابتغاء وجه الله ، على أن يكون العطاء من ماله الخاص لا من مال الدولة ، لأن لمال الدولة مواضع ينبغى أن ينفق فيها ، وليس من هذه المواضع إعطاء الأقرباء والأصدقاء .

* * *

تملق

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ألم تر إلى إسراف « مارسيال » في تملق مولاه قيصر حين زعم له أن خزائن الآلهة لا تكفى لمكافأته على ما قدم من خير !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : رأى قيصر فخافه وطمع فيه ، ولم ير الآلهة فلم يحفل بهم . وأكبر الظن أن هذا الوثنى الذى كان يسخر من آلهته ومن قيصر جميعاً .

* * *

عزة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : أترى الحلفاء يفون بميثاق الأطلنطى ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : كما وفوا بمبادىء الرئيس « ولسن » .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : وإذاً ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : وإذاً فالشعب الذى لا يرجو منحا ولا يخشى منعا ، وإنما ينصف نفسه وينصف من نفسه ، هو الشعب العزيز الكريم .

* * *

عطف

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : لو خرج فلان لأهل قريته عن بعض ماله ليسقيهم ماء نقيا لزال عنهم المرض ، ولاستفاد زرعه من صحة أجسامهم .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هو أعطف عليهم من ذلك . ألم تعلم أن المرض محنة يثاب عليها المريض إن أحسن احتمالها ، وأن الصحة فتنة يعاقب عليها الصحيح إن أساء استعمالها ، فهو يؤثر أهل قريته بالثواب ، ويعصمهم من الفتنة ؟

٢

حيرة العـــالم

للأستاذ احمد أمين بك

العالم الآن كله قلق مضطرب حائر ، وسبب قلقه واضطرابه وحيرته أنه في حربه الأخيرة هدم كل معتقداته السياسـية والاقتصادية والاجتماعية ، ولم يستطع أن يبني جديداً غيرها .

ثم إن المبادئ العتيقة — مبادئ القرن التاسع عشر وما قبله — لا تزال متأصـــلة في نفوس القادة والزعماء ومن بيدهم زمام الأمور الدولية ، وليس في إمكانهم إعادة هذه المبادئ العتيقة في القرن العشرين ، لأن الشعوب تنورت ، ولا في إمكانهم هم أن يعتنقوا مبادئ القرن العشرين ، لأن عقولهم محجرت .

اعتاد رجال السياسة أن يعلنوا على الملأ أن الحروب التي تقع إنما يبعث عليها أغراض نبيلة ، مثل حماية الديمقراطية — وما يتبعها من حرية الشعوب — من الانهيار ، ومثل حماية الأمم الصغيرة من عدوان الأمم الكبيرة ، ومثل المحافظة على حرمة المعاهدات ، ومثل دفع الخطر الذي يهدد أمنهم ونحو ذلك ؛ وكانت هذه الأقوال تجوز على الشعوب فيصدقونها — وكان رجال السياسـة يعلمون نفسية الشعوب وأنها لا تستجيب إلا للمثل الأخلاقية مهما ضعفت أخلاقها ، وانحلت في سلوكها ، فكان هؤلاء الساسة يستغلون هذا الشعور النبيل في الانسان ، فيهيجونه لمصلحة الحرب ، وكانت الشعوب عمياء ، تستجيب

عن غفلة لهذه الدعوات ، وتلبى الدعوة متحمسة للمبادئ الأخلاقية ، متى يبثها الزعماء ويعلنونها بشتى وسائل الدعاية ، ويجهرون فى نشرها .

وإلى ذلك أفسد هؤلاء الساسة اللغة ، فاستعملوا الألفاظ في غير معانيها كالديمقراطية والحرية وحقوق الأقلية ونحو ذلك ، فهذه الألفاظ لها معان فى موضع ، ومعان أخرى فى موضع آخر حسب المصلحة ، فجلاء الجيوش الروسية عن إيران عدل وداع إلى السلام . وجلاء الجيوش البريطانية عن مصر ليس عدلا وليس داعياً إلى السلام ، وحق اليونان والأسبان ومصر فى تقرير مصيرها يقاس بمقاييس مختلفة ، ومطالبة المغاربة بجلاء الفرنسيين عن بلادهم وتمتع أهل البلاد باستقلالهم مطلب غير عادل ولكل هذه الحالات المماثلة ألفاظ غير متماثلة ، فهذه الأشياء المتماثلة تسمى بحق تقرير المصير إذا دعت الحال ، وحق الانتدابات أو الوصاية إذا دعت الحال ، وبالحرية إذا اقتضى الأمر وبالأخذ بيد الأمة حتى تنضج إذا اقتضى الأمر ، وهكذا من العبث بالألفاظ والمنطق عبثاً يستدعى العجب .

هذه كانت عقلية الساسة والقادة فى القرن التاسع عشر وما قبله ، ولكنها عقلية عنيفة قد أتقنت وظهر عمقها ، وتنبهت الشعوب ، سواء منها الشرقية والغربية ، وفهموا أن ما يقولونه من البواعث على الحرب ، والطنطنة بالمبادئ الأخلاقية من حرية وديمقراطية ومحافظة على المعاهدات ، ليست إلا ستارا مموها يخفى وراءه البواعث الحقيقية على الحرب ، وأهمها الخوف وحب السيادة ، الخوف على ضياع المركز الممتاز الذى تتمتع به بعض الدول الكبيرة وحب السيادة وما يستتبعه من نعرة قومية وعصبية وطنية ، ثم بعد ذلك بواعث أخرى

كالسيطرة الاقتصادية والحصول على المواد الخامسة فى البلدان المختلفة، وتصريف السلع ونحو ذلك مما يرمى إلى غنى الأمة وعظم ثروتها .

هذه هى البواعث الحقيقية للحروب لا المبادئ الأخلاقية ، وإنما اتخذت المبادئ الأخلاقية ستاراً استغلالا لنفوذ الشعوب الطيبة بطبعها .

وهذا الستار المزيف قد أتقنت صنعه المدنية الحديثة فأبدعت نقشه وتصويره بما أجادت فيه من فن وتصوير وتهويل ، واستخدموا لذلك اللغة والأدب وفن الدعاية وفن التمويه ، وفن الكذب ، وفن الصحافة والاذاعة الخ ، حتى خدع الناس فصدقوه . . وقد كان الناس قبل هذه الحضارة المموهة صادقين ، إذا حاربوا قالوا أنا أحارب للغلبة والاستيلاء ، والاخضاع ، والغنيمة ، ولما تقدم الناس فى العقلية ولم يتقدم رجال السياسة معهم جاءوهم من ناحية التزييف والتلفيق والكذب .

ولكن عمر الكذب مهما طال قصير ، فقد نظر الناس إلى الساسة فرأوهم يقولون مالا يفعلون ورأوا وعوداً تبذل فى الحرب لا تتحقق فى السلم وأمانى تنفق فى إسراف حتى إذا جاء موعد القبض غلت الأيدى إلى الأعناق ، والحريات الأربع لا تتحقق منها حرية واحدة ، وميثاق الأطلنطى ليس ميثاقا وإنما هو بهلوان !! .

وغضبت الشعوب غضب الرجل من آخر قد ظهرت خدعته وتكشفت سريرته ، ووجدت هوة عميقة بين الحاكين والمحكومين ، والمستعمرين والمستعمَرين ، والمنتصرين فى الحرب والمنهزمين ، وبعض المنتصرين مع بعض المنتصرين ، وضعفت ثقة العالم بالمؤسسات المنشأة للتعاون والتفاهم كمجلس الأمن

وهيئة الأمم وزاد معسكر المتشائمين وتضاءل معسكر المتفائلين . وأدرك العقلاء أن سر هذا يرجع إلى أن من بيدهم أمر العالم فئة قد تربت فى أحضان الماضى ، وعلمت على البرامج العتيقة التى تشيد بمجد الوطن وحب الاستعمار والتمدح بالغلبة ؛ ولا بد لعلاج الحال من تعميم مناهج للتعليم تنشىء العقلية الجديدة على حب الانسانية والاخاء العام ، لا فرق بين شرقى وغربى ، وروسى وأمريكى ، وأسود وأبيض ، وسيظل العالم فى حيرته واضطرابه وقلقه حتى يتم تنشئة الجيل الجديد ويتسلم زمام الحكم . إذ ذاك يفهم العالم أن أسخف الطرق إذا حصل نزاع بين أمتين أو معسكرين أن تعمد كل منهما إلى السلاح فتقتل العدد العديد من الأخرى ، ولا يزال التقتيل على أشده حتى تسلم الأمة الأخرى أو المعسكر الآخر ، فان معنى هذا بالبداهة أن ليس الحق هو الذى انتصر وإنما القوة هى التى انتصرت ، وكثيرا ما تكون القوة بجانب الباطل ، ومعنى هذا أيضاً بالبداهة سكوت المنهزم على مضض حتى يقوى فيحارب وهكذا تسلسل الحروب .

ومما زاد الأمر سوءا فى الحيرة والقلق والاضطراب ، أن الحرب — وخاصة الحرب العالمية الأخيرة — قد عبثت بالأخلاق عبثاً كبيراً ، وويل للأمم إذا زلزلت أخلاقها ، فالحرب فتحت الأبواب على مصارعها لأحط الأصناف من الشعوب وأسوئهم أخلاقا ليستغلوا ظروف الأمة فى الحرب أسوأ استغلال ، بالاتجار بالأعراض والاتجار فى السوق السوداء وباستخدام وسائل الرشوة واستغلال السلطات الممنوعة لهم بحكم الظروف استغلالا شنيعاً وضيعاً . وترتب على ذلك انقلاب الأوضاع الاجتماعية فى الأمم ، فعلا فيها أغنياء الحروب فقراء الأخلاق ، وهبط فيها من تمسكوا بالفضيلة وحرصوا عليها

مهما جر ذلك عليهم من فقر ، وضعف شأن العفة فى الأمم المحاربة ، وتعلل بعض النساء بأنهن يبذلن عفتهن أداء لواجب الترفيه عن الجنود ، وترتب على ذلك أضرار اجتماعية لاحد لهـا ، إلى كثير من أمثال ذلك مما زلزل القواعـد الأخـلاقية التى تبنى عليها الأمة حياتها . وكما عبثت الحرب بالأخـلاق عبثت بالحقائق ، فالدعايات فى الصحف والمجـلات والإذاعات لا تستند على حق ، وكل معسكر من المتحاربين جرّح المعسكر الآخر بقليل من الحق وكثير من الباطل ، ثم توصف أعمال الغدر والخيانة والتقتيل بأنها أعمال بطولة ، وتوصف أعمال البطولة بأنها أعمال غدر وخيانة ، إلى كثير من أمثال ذلك .

هذه البلبلة فى السياسة وفى الأخـلاق وفى الحقائق هى التى جعلت العـالم الآن فى حيرة ، لأنه فقد قديمه ولم يجد بعد جديد .

إيمانى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أؤمن بالله .

أؤمن بالله وراثة، وشعوراً ، وبعد تفكير طويل.

فأما الوراثة فانى قد نشأت بين أبوين شديدين فى الدين ، لا يتركان فريضة من الفرائض اليومية. وفتحت عينى على الدنيا وأنا أرى أبى يستيقظ قبيل الفجر ليؤدى الصلاة ويبتهل إلى الله بالدعاء، ولا يزال على مصلاه إلى ما بعد طلوع الشمس، فلا يتناول طعام الأفطار حتى يفرغ من أداء الفرض والنافلة وتلاوة « الأوراد ».

ورأيت والدتى فى عنفوان شبابها تؤدى الصلوات الخمس وتصوم وتطعم المساكين ، وقلما ترى النساء مصليات أو صائمات قبل الأربعين .

وندر بين أقاربى من لا يسمى باسم من أسماء النبى وآله سواء منهم الرجال والنساء ، أو من أسماء الأنبياء على العموم.

وكان فى بيت أخوالى درس لقراءة الكتب الدينية ، وأذكر منها مختارات الأحاديث النبوية ، وإحياء علوم الدين فللوراثة شأن فيما عندى من سليقة الاعتقاد.

* * *

أما الايمان بالشعور ، فذاك أن مزاج التدين ومزاج الأدب والفن يلتقيان فى الحس والتصور والشعور بالغيب ، وربما كان « وعى الحياة » شعبة من « وعى الكون » أو من « الوعى الكونى » الذى يتعلق به كل شعور بعظمة العالم وعظمة خالق العالم . . والوعى الحيوى مصدر النفس ، والوعى الكونى مصدر الدين.

* * *

أما الايمان بالله بعد تفكير طويل فخلاصته أن تغير الخليقة بمشيئة الخالق العالم المريد أوضح من كل تغير يقول به الماديون.

وما من مذهب اطلعت عليه من مذاهب الماديين ، إلا وهو يوقع العقل فى تناقض لا ينتهى إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا يقوم عليه دليل وقد يهون منه تصديق أسخف الخرافات والأساطير فضلا عن تصديق العقائد الدينية وتصديق الرسل والدعاة .

فالقول بالتطور فى عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول ، لأن ابتداء التطور يحتاج إلى شىء جديد فى العالم القديم ، وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان فضلا عن الفكر أو الخيال .

والقول بالارتقاء الدائم من طريق المصادفة ، زعم يهون منه التصديق بالغيلان والسعالى وخوارق العادات فى تركيب الأجسام والأحياء .

والقول بأن المادة تخلق العقل كالقول بأن الحجر يخلق البيت وأن البيت يخلق الساكن فيه .

وأيسر من ذلك عقلا ، بل ألزم من ذلك عقلا ، أن يقال إن العقل والمادة موجودان ، وأن أحراهما بأن يسبق الآخر ويخلقه هو العقل ، لأن المادة لا توجد ما هو أفضل منها وفاقد الشىء لا يعطيه .

فأنا أؤمن بالله وراثة ، وأؤمن بالله شعورا ، وأؤمن بالله بعد تفكير طويل .

* * *

هذا فى مجال العقيدة

أما فى مجال الأخلاق فلا موجب عندى لعمل الخير غير طلب الكمال وفهم الكمال .

ومن الخير ما هو عسير على النفس محفوف بالخطر ، مكروه العواقب ، مستهدف للنقد والمذمة بين من يجهلونه أو يصابون فى منافعهم من جرائه، فلا باعث لعمل هذا الخير أقوى من باعث الشوق إلى الكمال ، والارتفاع بالنفس إلى ما ترضاه .

إن الانسان لايرائى بحب الطعام المفيد. إنه يحبه فى السر كما يحبه فى العلانية، وأنه ليبذل فيه ثمنه وإن غلا ويجلبه من مكانه وإن بعد ، وإنه ليكتفى به ويحسبه جزاء حسنا ولا ينتظر عليه المثوبة أو الشكران من أحد. لانه يتناوله لنفسه ولا يتناوله مرضاة لغيره .

وهكذا طعام العقل أو طعام الروح حيثما عرفت الروح مايصلح لها وما يليق بها من طعام . إنها لا تستريح بغيره ، ولا تتوانى عن طلبه ، ولا تنتظر المثوبة أو الشكر لأنها تختار غذاءها فتحسن اختياره ، ولا ترضى بما دونه.

وإنما المهم أن تعرف هذا الغذاء .

فاذا هى عرفته فلا باعث لها إلى الخير أقوى من الشوق إليه ، ولا وازع لها ولا عقوبة تخشاها فى سبيله أوجع من فواته والحرمان منه.

وهناك عالم للضمائر وعالم للافكار وعالم للاذواق والأخلاق كما هناك عالم للأجساد .

فى عالم الأخلاق لاباعث إلى الخير أقوى من شعور الانسان بكماله ، ولا وازع عن الشر أقوى من شعور الانسان بنقصه ، ولا أخلاق لمن يحسن لأنه يؤجر على الاحسان ، أو يسئ لأنه فى أمان .

فساعة من الغبطة ببلوغ الكمال هى غاية ما تعلو إليه النفس من مراتب السعادة ، وساعة من تبكيت الضمير على النقص هى غاية ماتنحدر إليه النفس من الشقاء .

وإيمانى فى المعاملات أن الطيبة موجودة فى الطبيعة الانسانية ، ولكنك لاتجدها فى كل إنسان ، ولا تجدها فى جميع الأوقات .

فهناك من يرحم،وهناك من يجود ، وهناك من ينصح ، وهناك من يعين ، وهناك من ينصف الخصوم كما ينصف الأصدقاء .

ولكنك إذا بحثت عن المعين لم تضمن وجوده حين تريده ، وإذا وجدته حين أردته لم تضمن أن يوافقك على رأيك ويساعدك على قصدك ، فلعله يعين إذا اعتقد وجه الصلاح فى العمل الذى يدعى إليه، ولعله لا يعتقد اعتقادك فيما ترومه من الصلاح .

فلا تقنط من طيبة الناس كل القنوط .

ولا تعول عليها كل التعويل .

بل أحسن الظن بالناس كأنهم كلهم خير ، واعتمد على نفسك كأنه لاخير فى الناس .

وقديماً قلت :

أنا لا ألوم ولا ألام	حسبى من الناس السلام
أنا إن غنيت عن الانا	م فقد غنيت عن الملام
واذا افتقرت إليهـم	فاللوم من لغو الكلام

ولا أزال كلما نسيت هذه الخطة فى سهوة من السهوات ردتنى الحوادث إليها، وزادتنى إيمانا بصوابها .

* * *

وإيمانى بالأدب إنه رسالة عقل إلى عقول، ووحى خاطر إلى خواطر، ونداء قلب إلى قلوب .

وأن الأدب فى لبابه قيمة إنسانية وليس بقيمة لفظية .

فالأديب الذى يقرأه القارىء فلا يعرف شيئاً جديداً ولا يحس بشىء جديد فسكوته خير من كلامه .

والأديب الذى يقصر جهده على التسلية وازجاء الفراغ خادم جسد وليس بصاحب رسالة فى عالم العقل والروح .

والعلاقة بين الكاتب وقارئه علاقة تعاون واشتراك ، لا يغنى فيها الجهد المفرد عن الجهدين المتساندين .

فالقارىء الذى يفرد الكاتب بواجب التفهيم لا يستحق من الكاتب أن يلتفت إليه .

لأنه واحد من ثلاثة : فاما رجل يظن أن القراءة لا تستحق التعب ، وهو يتعب فى طلب اللهو والتسلية ، فلا نفع فيه .

وأما رجل يتعب فكره ولا يصل بالتعب الى نتيجة ، فذلك أيضا لا نفع فيه .

وأما رجل لا تهمه نتيجة القراءة التى يتسلى بها أو يتعب فيها ، فهو كصاحبيه لا نفع فيه .

* * *

وإيمانى بالشهرة والثناء كإيمانى بالثواب والجزاء .

فما أجفلت قط من نقد ، ولا توسلت قط إلى ثناء . ويعزينى عن كثير من الثناء أن الناس لا يبذلونه لمن يكبرونه ، بل يبذلونه لمن لا يتلأ قلوبهم بالاكبار ولا يبلغون من إعظامه مبلغا يحسدونه وينفسونه عليه ، وان الأدب شىء هين

كل الهوان إن ضاعت قيمته بكلمة حاسد أو جاءت قيمته من كلمة كاذب منافق.
فإذا كانت له قيمة فلا خوف عليها ، وإن لم تكن له قيمة فلا حرص عليه .

***

وبعد فإيمانى كله فى العقيدة والأخلاق والمعاملة والأدب يوزن بميزان واحد ، وهو ميزان المثل الأعلى أو طلب الكمال ، لأنه إيمان يغنينا عن طلب الجزاء ويعزينا عن فقدان الحمد والثناء . إذ كان جزاؤه كما يقولون فى اصطلاح الموانئ وجباية الرسوم « منه فيه »

عمر فى بيت المقدس

للدكتور عبد الوهاب عزام بك [١]

— ١ —

هذا عام ستة عشر من الهجرة ، وقد انساحت جيوش المسلمين فى الشام والعراق وفارس، وألقت أقاليم الشام بالمقاليد إلا فلسطين، وأبوعبيدة بن الجراح يحصر بيت المقدس ، وقد ملأ الاسماع والقلوب بأس المسلمين وعدلهم ووفاؤهم

عزم أهل البيت المقدس أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس : فى عهد المسلمين وحمايتهم وعدلهم ، ورغبوا أن يكون صاحب عقـدهم عمر ... عمر الذى ملأت سيرته الآفاق وسكنت إلى عهده النفوس، واشتاقت إلى رؤيته العيون .

وفصل عمر من المدينة فى جمع من الصحابة ومعه مولاه أسلم . خرج يغـذ السير إلى الشام ليتفقد أحوال المسلمين ، ويصالح أهل فلسطين .

ويمضى فى طريقـه حتى يبلغ أيلة ، وينتظر الناس موكب أمير المؤمنـين ويحسبون الناس أنه سيطلع عليهم فى زينته يحيط به جنده ورجاله . والذى رأى منهم هرقل حين فتح بيت المقدس قبل عشر سنين أو شهده من بعد فى حل أو ترحال ، تخيل عمر فى موكب كموكب هرقل أو موكب دونه ولـكنه موكب ملك أو أمير .

لما دنا عمر من أيلة تنحى عن الطريق وتبعه غلامه فنزل فمشى ثم عاد فركب بعير غلامه وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه.

---

(١) من كتاب «الاوابد» ص ١٦

وكأن عمر خاف أن يداخله الزهو وهو على مركبه فى غير زينة فآثر أن يشعر نفسه أنه وخادمه سواء فتحول إلى رحل غلامه .

فلما تلقاه أوائل الناس قالوا : أين أمير المؤمنين ؟ قال أمامكم (يعنى نفسه) وذهبوا أمامهم فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها . وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا إليه واجتمع الناس إلى رجل جسيم أصلع أشقر شديد الحمرة كثير السبلة [١] فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة — رجل لا تقع العين منه إلا على الوقار والتواضع والشدة فى الحق والرأفة بالضعفاء . رأوا ملكا فى زى ناسك ، وراعى أمة فى صورة راعى ثلة[٢] . رأوا إنساناً لا تفقد فيه الانسانية حقيقة من حقائقها ، ولا يصيب فيه الجبروت باطلا من أباطيله .

اجتمع الأساقفة والرهبان يردن رجلا فى يده الدنيا ولكنها ليست فى قلبه يملكها ولا تملكه ، ويصرفها ولا تصرفه ، ويستعبدها ولا تستعبده . وليس شيئاً أن تكون زاهداً فى صومعة ولكن العظمة كلها أن تكون زاهداً والدنيا تحت قدميك : « ودفع عمر قميصاً له كرابيس[٣] قد انجاب مؤخره عن قعدته من طول السير ، إلى الاسقف وقال : اغسل هذا وارقعه . فانطلق الاسقف بالقميص ورقعه ، وخاط له آخر فراح به إلى عمر ، فقال : ما هذا ؟ قال الاسقف : أما هذا قميصك قد غسلته ورقعته ، وأما هذا فكسوة لك منى . فنظر إليه ومسحه ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص ، وقال : هذا أنشفهما للعرق .

— ٢ —

دخل عمر بيت المقدس لا مدمراً مخرباً كما دخلها بختنصر ، ولا مضطهداً أهلها كما دخلها الرومان من قبل ولا مزهواً بفتحه كما دخلها هرقل قبل عشر سنين

---

(١) طرف الشارب (٢) القطيع من الغنم

(٣) المفرد كرباس وهو ثوب من القطن الابيض

بعد أن غلب الفرس على الشام ، ولكنه دخل رافعاً لواء التوحيد والعدل والأخوة العامة والرحمة الشاملة . دخل إلى المدينة فسار إلى المسجد ليلا ومضى إلى محراب داود فصلى فيه . وطلع الفجر بعد قليل ودوى الأذان فى أرجاء المدينة المقدسة لأول مرة ، صيحة الحق فى أعقاب الباطل المهزوم ، ترفعها تباشير الصبح فى أخريات الظلام . وشهد الله لقد كانت فاتحة الخير والسلم والكرامة للبيت المقدس ومن فيه .

وقرأ عمر فى الركعة الأولى سورة (ص) وسجد حين قرأ السجدة (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب) ثم قرأ فى الركعة الثانية أول سورة الاسراء ـ سورة بنى إسرائيل وفيه وصف ما أصابهم على يد البابليين

لقد لبث اليهود خمسمائة سنة ينتظرون أن تطلع شمس الاسلام ويأتى الفاروق ليحثو التراب فى قبائه ويأمر الناس بتطهر بيت المقدس . وما فقدوا رعاية الاسلام من بعدها ، إلا تسعين عاماً غلب فيها أهل الصليب فأصاب البيت المقدس ما أصابه حتى استرجعه رجل من رجال المسلمين ملك يتشبه بعمر بن الخطاب فى الاشادة بعدل الاسلام . رحم الله صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ولكن بنى إسرائيل حين رأوا الزمان ينيخ على المسلمين بكلكله لم يأتوا عوناً للعرب والمسلمين ، ولم يذكروا فضل الاسلام ولا حفظوا يد عمر ، ولا اعترفوا برعاية المسلمين وحمايتهم ثلاثة عشر قرناً ، بل جاءوا يجزون الحسنة بالسيئة ، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم الخطوب ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من الأعداء ، ويمالئون الذين دفنوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان .

وليت شعرى ماذا ينقمون من المسلمين والعرب ؟ « يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » ؟

٥

نوبـل

للدكتور احمد زكي بك

فى اليوم الحادى والعشرين من شهر اكتوبر لعام ١٩٣٣ احتفل القوم بمرور مائة عام على « الفرد نوبل » وما كان العالم فى حاجة إلى التـذكير بميلاد نوبل أو بموته فذكراه تتجدد كل عام ، تجددها تلك الجوائز السنوية الخمس التى تحمل اسمه والتى أنشأها عند وفاته عام ١٨٩٦ ووقف عليها ريع ثروته الهائلة ، وقد يبلغ الخمسين ألفا من الجنيهات فى السنة الواحدة .

قال نوبل فى وصيته : « .... ويقسم هـذا الريع هكذا » : نصيب للفرد الذى يأتى بأخطر استـكشاف فى الفيزياء « الطبيعـة » ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأخطر ابتداع فى الـكيمياء أو بتجديد خطير لابتداع قديم ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأكبر جديد فى الطب أو فى « الفسلجة » علم وظائف الأعضاء ، ونصيب للفرد الذى ينتج فى عالم الأدب أجل نتاج على أن ينحو فيـه صاحبـه منحى « الأدياليين » المثاليين ، والنصيب الخامس والأخير للشخص الذى زاد أكثر من غيره فى إخاء الأمم ، وجاهد أكثر من سواه فى إلغاء الجيوش أو فى انقاصها وفى جمع المؤتمرات وزيادتها تحقيقاً للسـلام . . . وإنى أعلن رغبتى الصريحة فى ألا تـكون لجنسية المترشحين أى اعتبار مهما قل عند القرار بمنح هذه الجوائز » .

هذا نوبل كما يتراءى فى وصاته ، رجل حباه الله الثروة الواسعة ، ومنحه

العقل الذى يدرك به خطر العلوم الطبيعية فى تقدم الانسان وإسعاده ، ووهبه قلب الشاعر الذى يزهد فى صور الكون الواقعة ، وحقائقه الراهنة : لقبحها ولنقصها ، ويستلذ صوراً من خلق الخيال لا حقيقة لها لأنها تمثل الكون على ما يجب أن يكون ، والانسان على أتم حال من جمال ونبل ، والأشياء على أكمل اتساق وانتظام ، فالنتاج الأدبى الذى يجيز عليه يجب أن يكون « إيداليا » كالياً لا حقيقياً واقعياً واتسع هذا القلب حتى وسع الأمم جمعاء نخشى عليها مهالك القتال وأشفق عليها من متالف الحروب .

أما نوبل قبل الوصاة ؛ نوبل القرن التاسع عشر فرجل عالم مهندس كيميائى صرف مواهبه فى استكشاف بوائق الحروب ، والتفنن فى أساليب الموت وتشجيع القتال بأبحاثه حتى كفل للحكومات الحجة التى لا تدفع فى فض الخصومات .

ولد نوبل فى استكهلم عاصمة السويد عام ١٨٣٣ وذهب أبوه به صغيراً إلى عاصمة روسيا حيث أنشأ معملا لصناعة « الطوربيد » ثم عاد به إلى السويد وخلف أخاه الأكبر قواماً على ذلك المعمل فوسعه ومده ، وفى السويد بدأ نوبل بدراسة الناسفات . وكان الوقت ملائماً لهذه الدراسة فان النزاع بين الدول كان يشتد وأسباب الخصام تتكاثر ، وزادت الريبة وأشكل المستقبل ورأت كل أمة خلاصها من الحرب فى العدة للحرب ، ومن الغريب أن العالم لم يكن يعرف ويألف من الناسفات إلى ذلك العصر غير البارود وكانت الكيمياء الحديثة قد بدأت تشب ، والتفاعلات الكيماوية تدرس فتعرف ، فكان من الطبيعى أن تتجه الأمم فى تنافسها إلى الكيمياء علها تجد عندها سلاحاً جديداً أمضى من الحديد ، أو مرادفاً أقوى وأفتك من البارود فدرس الدارسون واجتهد المستنبطون ،

تارة يحثهم المجد ، وتارة يغريهم المال وتارة أخرى تلهبهم القومية وما يتضمنها من ضرورة فى دفاع أو إشباع لأطماع فكشفوا فى النصف الأخير من القرن الماضى عن طائفة من الناسفات طالعتنا آثارها فى الحروب التى تتابعت من ذلك العهد، ورأينا فعلها وسمعنا دويها فى الحرب الكبرى الأخيرة[1] التى ذهبت ببضعة ملايين من بنى الانسان .

وكان على رأس هؤلاء الدراسين العلامة نوبل .

(١) يقصد العالمية الاولى

الخلق فى الفن

للاستاذ توفيق الحكيم

ليس الخلق أن تخرج من العدم وجوداً : إنما الخلق فى الفن — وربما فى غيره أيضاً — أن تنفخ روحاً فى مادة موجودة. كذلك صنع أعظم الخالقين يوم أوجد آدم . لم يمد يده العلوية إلى الفضاء قائلا : « كن ! » فكان . ولكنه مديده إلى الطين — مادة وجدت قبل آدم — فسوى منه ذلك المخلوق الحى . لاشىء يخرج من لاشىء. كل شىء يخرج من كل شىء. ذلك هو الدرس الأول فى الخلق ، وقد تلقيناه عن الخالق الأكبر .

وليس الابتكار فى الفن كذلك أن تطرق موضوعاً لم يسبقك إليه سابق ، بل الابتكار هو أن تتناول الموضوع الذى كاد يبلى فى أصابع السابقين ، فاذا هو يضىء فى يديك بروح من عندك . فالكثير من موضوعات « شكسبير » نقل عن « بوكاشيو » . و « جوته » فى فاوست عن « مارلو » . .

ليس الموضوع فى الفن بذى خطر . وليست الحوادث والوقائع فى القصص والشعر والتمثيل بذات قيمة . ولكن القيمة والخطر فى تلك الأشعة الجديدة التى يستطيع الفنان أن يستخرجها من هيكل تلك الموضوعات والحوادث والوقائع.

إن الفن ليس فى الهيكل . إنه فى الثوب . الفن هو الثوب الجديد الذى يلبسه الفنان للهيكل القديم . إنه الكسوة المتجددة لكعبة لاتتغير .

وليس هذا بالمطلب اليسير. فما أشق الاتيان بجديد فى موضوع غير جديد !

وما أعسر الكشف عما لم يكشف فى بناء تقتحمه العيون ، وتنقب فيه العقول، فى كل الشعوب وكل الأزمان. من أجل هذا كان عمل « راسين » فى « أندروماك » تلك الشخصية التى تناولتها من قبله المواهب والأذهان، أعظم فى تاريخ الأدب من عمل « بونسون دى تيراى » فى « روكامبول » تلك الشخصية التى اخترعها من رأسه اختراعاً ، ونسج حوادثها العجيبة من مخيلته نسجاً .

قال « شسترتون » فيما أذكر ، مقدماً لكتاب من كتب « ديكنز » : إن الشاعر خصب القريحة ليس ذلك الذى يسلك طريق الاغراب؛ فإن أرفع مراتب الابتكار قد يتسنمها شاعر يتغنى فى « الربيع » .

وقد تسألنى: ماهو الابتكار؟ فأقول لك بسرعة وبساطة : هو أن تكون أنت ، هو أن تحقق نفسك .

إن أعظم معجزة فى الكون للخالق الأعظم هى « شخصية الانسان » . ملايين الملايين من البشر تتعاقب ، فلا تطابق شخصية أخرى تمام الانطباق ، فى الأجسام والمشاعر والعقلية والروح والذوق والطبع . كل شخص يظهر فى الأرض جديد ، جدة تنبثق معه وتختفى معه إلى أبد الآبدين . أى معين من الخلق الالهى لا ينضب ! وهذه الجدة فى المشاعر والعقل والروح لو لازمتنا طويلاً لرأينا بها العجب . ولكن ناموس القوى والضعيف يفعل فعله، وجاذبية الأجسام الكبرى للصغرى تسرى على الآدميين أيضاً . فما نكاد نولد حتى يتلقفنا الكبار من حولنا ، فلا نبصر الأشياء إلا بأعينهم ، ولا نسميها إلا بما وضعوا لها من أسماء وصفات ورسمات . لقد كتب علينا هذا المصير : أن نفقد جدتنا ونحن فى المهد ، وأن نلف فى أردية القدم منذ الطفولة ، وأن يفقأ آباؤنا عيوننا الجديدة باللمسة الأولى ، وأن يصموا آذاننا بالصيحة الأولى . ومن فر منا ببعض البصر وواجه الدنيا بعينيه هو فانبهر ، فهو ذلك الذى نطلق عليه فيما بعد

اسم « الشاعر المبتكر » . على أن الخطر رابض أيضاً فى محيط الفن . فهنالك الشخصية القوية كالنواة فى الذرة ، شدت إليها الشخصيات الصغرى ، فأعمت أبصارها ، فلا ترى إلا ماترى الكبرى ولا تقول إلا ماتقول . فاذا سئلت عن « الربيع » قالت ، لاما تحس هى وترى ، بل ماسمعت ورأت من خلال أسطر نفس كبيرة مشرقة فى عصرها أو فى عصور الغابرين . إلى أن تتحطم الذرة ، وينفرط عقد النواة ، ويتحرر من تتكشف له نفسه ، فيقول قولا ندرك من ساعتنا أنه له . فالصوت صوته ، والنبرة نبرته ، والفرحة فرحته ، والدمعة دمعته . فنصيح معجبين : هذا قول مبتكر . وهو مازاد فى حقيقة الأمر على أن حقق نفسه .

لكن.. ما أصعب تحطيم الذرة فى الفن أيضاً ! وأى دوى وانفجار أيضاً لهذا الحدث فى تاريخ الآداب والفنون ! إن بروز الشخصية مفروزة جلية هى معجزة الفنان . كم من جهد بذل « بيتهوفن » لينطلق من نواة « موزارت» ! إن آثار هذا الجهد لم تزل باقية فى سانفونيته الأولى. وما أروع كفاح «جوته» فى شبابه مع أقرانه الشعراء فى سبيل التحرر من تأثير « فولتير » والخروج عن نطاق جاذبيته . إنها لمضنية مؤلمة تلك الجهود التى تبذلها النجوم لتضىء فى حضرة الشمس. وإنها لتعيش فى انتظار الساعة التى تصبح فيها شموساً بدورها تجرى من حولها النجوم.

على أن شخصية الفنان لا تتكون إلا من كتلة أعمال. إن العمود الفقرى للشخصية الفنية هو سلسلة آثار ، يستطيع الباحث أن يتتبع فى حلقاتها صفاته وعيوبه ولوازمه وعاداته ، ومزاجه واتجاهاته . لهذا كان على النقد الفنى أن

فرق دائماً بين فنان فى أعماله الأولى يتلمس خطاه نحو شخصيته، وفنان عرف له طريق واتجاه . فقضية النقد للأول تتلخص فى : « كيف صنع هذا ؟ » . وقضية النقد للثانى هى : « لماذا صنع هذا ؟ » . الأول لم نعرف له شخصية بعد، فعلينا أن نعينه على معرفة طريقه إليها، فنناقشه . كيف أتيح ذلك الأثر؟ ما موجباته ؟ وما أدواته ! وأى خطى يتأثر ؟ وفى أى طريق يسير ؟

أما الثانى وقد عرفنا شخصيته ووجهته ، فواجبنا أن نسأل : « لماذا أخرج للناس هذا الأثر الأخير » ليحقق به أى جانب من جوانب شخصيته التى نعرف عنها الكثير ، لماذا صنع هذا ؟ أترى الغرض منه تأكيد فكرة من أفكاره ؟ أو الرجوع عن بعض هذه الأفكار؟ أو الخضوع لاحساس بعينه يلاحقه فى كل أثر من آثاره ؟ . .

النقد للأول موجه ، وللثانى مفسر . ينبغى للنقد الفنى أن يوجه الأول إلى شخصيته التى لم تظهر ، وأن يفسر للثانى شخصيته التى ظهرت .

بهذا يؤدى النقد واجبه فى مجال الخلق الفنى .

وإنه لمجال مفعم بالعجائب . وقد يدرك المتأمل له أنه تابع لنظام الذرات والكواكب . فأسلوب الخالق الأعظم واحد ! فى صغائر المخلوقات وفى أكابرها وفى طاقتها المادية وفى نشاطها المعنوى .

إن الفنان يظل يبحث عن ذاته وشخصيته، إلى أن يجدها فيصبح سجينها . إنه يظل يدور حول « نواة » طالباً الانفصال عنها والاستقلال بذاته . فاذا انفصل واستقل دار حول ذاته .

كل فنان ذو طابع هو حبيس طابعه . انقطع شهوراً لدراسة فنان بارز

الشخصية . هب نفسك لشيطان أعماله كلها مجتمعة ، فإن يمضى بك الوقت حتى تكون قد عرفته وأحببته وسئمته وألفته فى كل إشاراته ولفتاته وارتفاعه وانحطاطه وقدرته وعجزه . إن تأمل آثار الفنان كاملة تكشف لك عن شخصيته الكاملة ، فتعرف أسلوبه فى التفكير والتعبير ، وطريقته فى تناول الأشياء . ولكنك وقد أحطت به ونفذت إلى لبه لابد صائح يوماً بلهجة المحبة والألفة : « دائماً هذه الطريقة ! دائماً هذا الأسلوب ! لو يخرج عنها قليلا . !! » كيف يخرج عنها ؟ إنها ذاته . مأساة الطابع والشخصية . مادام له طابع فلن يخلص عنه أبداً . . ولا بالموت .

٧

فتياتنا الجامعيات

في معترك الحيـــاة

للسيدة بنت الشاطىء

تشاء الصدفة أن تنشر « الاهرام » فى اليوم الذى تهيأت فيه لكتابة هذا المقال ، رسالة من أحد أساتذة الحقوق فى جامعـــة فاروق : عرض فيها قضية طالبة متفوقة ممتازة ، كان من حقها — بحكم تفوقها وامتيازها — أن توفد فى بعثة لدراســة القانون ، تعود بعدها للتدريس فى الـكلية . لـكنها ووجهت بمعارضة قوية ، تعترف بحقها فى البعثــة ، وتنـكر ما عدا ذلك التحاقها بهيئة التدريس ، لأنها فتاة .

وقال قائل : « هذا لون من ألوان التفـكير المضطرب المتناقض فيما يختص بالمرأة واستحقاقها لهذه المهنة أو تلك » على حين أراها نتيجة طبيعيــة حتمية ، لهذه الحركة التي أخرجت الفتاة من دارها لتتعلم ، من غير أن تعين لهـا منهجا خاصا تدرسه، أو تحدد لها هدفاً بعينه تتجه إليه .

والواقع أن المسألة ليست جزئية خاصة بما يقوم بين أنصار القديم والحديث من عراك ونضال ، وإنما هى مسألة عامة ترد إلى قضية كبرى ، هى قضية هــذه النهضة النسوية الطارئة المستحدثة فى الشرق ، وحرمانها ـ فى نشأتها الأولى ـ من التوجيه الراشد ، والاشراف الامين ، والسير المسدد المطمئن .

ولكى نفهم موقف الجامعيات ، ونقدره حق قدره : نرى واجبا علينا أن ندرس المسألة الكبرى من شتى نواحيها ، درساً صحيحاً شاملا مطمئناً ، يلقى ضوءاً على ما داخل الحركة من عناصر شوهت جمالها ، وما لابسها من ظروف ضللت سيرها ، وما واجهها من عوائق أثقلت خطاها ، وما صحبها من أخطاء ضاعفت غرامة الانتقال التى دفعتها الجامعيات الأوليات .

إن المتتبع لخطوات الفتاة الجامعية فى سيرها المتعثر من الأمية العمياء إلى قاعات الدرس الجامعى ، ليروعه احتمالها النادر لمتاعب ذلك المنهج الضال الذى ارتجل لها ، وجلدها العجيب لمشاق الدرس الشاذ يبدو أنه أسقط أنوثتها من حسابه ، وجهادها الظافر فى معركة لم تهيئها طبيعتها ولا ظروفها للنضال فيها .

وما بنا الآن أن نعود ، فنطوى الزمن ، ونصحب الفتاة فى خطواتها إلى الجامعة ، وحسبنا أن نقرر هنا — فى ثقة وقوة ، وعن تجربة ويقين — أنها كانت حركة « استشهاد » فى ذلك الدور الانقلابى الذى نعده أعنف انقلاب شهده تاريخنا الاجتماعى الحديث .

ونحن نعذر الذين يتوهمون فى هذا الوصف شيئاً من الاسراف أو المبالغة ، فما يستطيع سوانا أن يقدر مدى ما احتملناه وعانيناه فى تلك المعركة الظافرة الخاسرة معا !

ندع هذا الماضى الآن ، إلى اليوم الذى نستطيع أن نكشف فيه عن أخطائه ومتاعبه وضحاياه ، لنتحدث عن الجامعيات اللائى قطعن الشوط بسلام ، وبدأن السير فيما يسمونه معترك الحياة .

ماذا تبغى الفتاة الجامعية بعد أن أتمت دراستها العالية ؟

سؤال لم يفكر فيه الذين دفعوها من قبل إلى مدارس أنشئت ارتجالا على

غرار مدارس البنين واستعيرت لها نظمها ومناهجها .

وكذلك لم تفكر فيه الفتاة . كان كل همها أن تصل إلى نهاية الشوط ، وأن تربح السباق وقد شغلت بهذا حتى عن نفسها .

خذلتها البيئة فلم تتخاذل . . وقاومتها الظروف فلم تهن . .

وتمردت عليها فطرتها فلم تتراجع . . ومضت لا تلوى على شيء . .

حتى إذا تم لها ما أرادت وقفت لأول مرة تسأل : أين تمضى ، وفى أى اتجاه تسير ؟

بل وقفت تصغى — لأول مرة — إلى نفسها وهى تسألها :

فيم كل هذا ، وإلام ؟ ولم ؟ .. وعلام ؟

فيم الظفر والتغلب ؟ وإلام القتال والنضال ؟

لم الضجيج والطنين ؟ وعلام السعى والمسير ؟

ماذا بعد هذا كله ، وماذا وراء ذلك كله ؟

لم تعد الفتاة ترى شيئا ، أو تستدين على الأفق معلماً ..

قال ناس : هنالك الوظيفة ، والكسب ، والعمل ، والحركة . .

هنالك الظفر ، والحرية ، والمساواة . وأصغت الجامعيات إلى هذا ، ومالت منهن من مالت ، فكان عبئاً جديداً ، واستشهاداً جديداً ، مضت إلى دنيا الناس ، تطلب الوظيفة وأمجادها ، والشهرة وأضواءها ؛ وتدفع فى هذا الميدان ما تدفع من كرامتها ، وتخسر فيه ما تخسر من أنوثتها ، وتفقد فيه ما تفقد من شبابها ونضرتها ، ثم لا تكاد تصل إلى شيء منه حتى تنكفيء فتعود من حيث ابتدأت ، وتقف لتصغى من جديد إلى نفسها وهى تلح فى سؤالها :

ثم ماذا ؟ فيم كل هذا ، وإلام ، وعلام ؟

عاد السؤال والاستجواب ، وعادت الحيرة والضلال . .

وجهل الناس هذه المعركة العنيفة فى نفس الأنثى ، وذلك النضال الصاخب فى كيانها المتعب ، فراحوا يتحدثون عن حقها ، فى الوظائف ويختلفون فى أمرها ، ويختصمون من أجلها ، وكل يدعى أنه الحريص على خيرها ، العامل لحسابها .

وهذا تناول جزئى محدود للمسألة ، بل هو فى نظرنا أمر ثانوى ، لأن المهنة لا يمكن أن تكون بحال ما ، هدفا أخيراً للفتاة ، ومستقراً لها ، اللهم إلا أن تبتلى بشذوذ ، أو يضللها انحراف .

ويتحدثون هنا عما أثبتت الجامعية من كفاية فى الأعمال التى شغلتها ، ويشيدون بذكر نجاحها فى هذا الميدان أو ذاك ، وليس هذا بغريب من مثل تلك المجاهدة التى ظفرت فى معركة الدراسة على شذوذها ، ومتاعبها ، ولكن الفتاة — فيما بينها وبين نفسها — لا تقف طويلا عند هذا النجاح ، ولا تجد فيه الرضى النفسى واللذة الخالصة . .

وأنا أعلن هنا بملء صراحتى ، وملء تجربتى ، أن الفتاة الجامعية «لا ترنو إلى « المهنة » ولا تتطلع إلى أمجادها ، لأنها لا تعدها بالأمن والاستقرار ، بعد الذى عانت فى جهادها الشاق الطويل

وكل الذى يقال غير ذلك ، زور ، أو تضليل ، أو رياء ، فما منا واحدة لم تحلم « بالبيت السعيد » تستريح فى ظله بعد الأين والكلال ، وما منا واحدة لم تهف إلى «الشريك الأمين» الذى يتكامل معها ويهيىء لها الحياة الطبيعية الكريمة ، وما منا واحدة لم تصغ من أعماقها ، وبكل كيانها ، إلى ذلك الصوت القوى الصادق الذى يدعو إلى المستقر الآمن فى العش ، ويثير حنينها الفطرى إلى

البيت وأشواقها المكبوتة إلى الأمومة ..

وليست مسألة الزواج عند الفتاة الجامعية بالأمر الهين أو القريب ، بل إنها تتعقد أحيانا حتى تصير مشكلة يتعذر حلها ، ولست أرى أن أتناول هذه النقطة الهامة ، عرضا فى ذلك المقال ، وإنما أرجئها إلى مقال مستقل ؛ يتحدث عن « زواج الجامعيات » حديثا شاملا

وقد شاع عندنا خطأ كبير، خلط فيه القوم بين تعليم الفتاة وبين الاحتراف بحيث نظروا إلى التعليم على أنه مجرد وسيلة للوظيفة ، فإن لم تحترف الفتاة أثر تعلمها ، اعتبرت دراستها — فى رأيهم — عبثاً خاسراً وعمراً مضيعاً ، وأذكر هنا تلك الدهشة التى قوبلت بهـا استقالتى من التدريس فى كلية الآداب ، وتفتيش اللغة العربية بمدارس البنات ، كنت حيثما اتجهت أقابل بسؤال واحد: ولم كان التعليم والدرس وفيم كان كل هـذا الجهاد الطويل ؟ فاذا أجبتهم بما سجلته رسميا فى كتاب استقالتى عن شعورى بأن الاحتراف يؤذى فطرتى ويعطل مواهبى وقد آن لى — بعد أن أتممت دراستى الجامعية العليا — أن آوى إلى حياة كريمة ، عاملة فى ظل بيت كريم هزوا رءوسهم فى عجب ، ونظروا إلى نظرات متسائلة عما ألم بى حتى أتخلى عن مثل هذه الوظيفة الفريدة الرابحة ، بعد ذلك النجاح الظافر .

ومن المستغرب ، أن يقع فى خطأ الخلط بين التعليم والاحتراف ، المشتغلات بالحركة النسوية عندنا ، فقد رأينا المؤتمر النسوى المنعقد فى القاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، يقرر فيما يقرر : « المطالبة للفتاة بالوظائف التى تؤهلها لها دراستها » كما وقع فى مثل هذا الخطأ أدباء مثقفون كانوا جديرين بأن يروا التعلم ضرورة تطلب لذاتها ، وليس وسيلة للاحتراف من هؤلاء : الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، حيث كتب فى الاهرام معقبا على رسالة أستاذ الحقوق ، التى أشرنا إليها فى صدر هذا المقال : « واحد من اثنتين : إما أن ندع المرأة لتأخذ

حظها من الحياة كما يفعل الرجل . وإما أن نعود بها إلى البيت كما كانت : لا تتعلم ، ولا تخرج إلى الأندية والمجتمعات والمحاضرات والمناظرات ، ومن ثم نقفل فى وجهها الجامعة ، ونقفل فى وجهها التعليم الثانوى المؤدى إلى الجامعة ! »

فهل سمع الناس ، فى أى بلد من بلاد العالم المتحضر ، من ينادى باغلاق المدارس أمام الفتاة ، وإلغاء تعليمها ، إذا لم يخل بينها وبين « الامتهان » عقب إتمام الدراسة ؟ ذلك — فى رأينا — أثر من السياسة التعليمية الخطرة التى حملها إلينا « دنلوب » فى منهجه الاستعمارى البغيض ، فجعل المدارس معامل لتخريج الموظفين ، لا لتثقيف أبناء الشعب

إننا فى عصر لم تعد الحياة الانسانية فيه تكتفى للانسان بالطعام والشراب والمأوى ، فتلك حاجات مادية ميسرة للحيوان على اختلاف فصائله ، وللانسانية من ورائها قدر من المعنويات تراه ضرورة من ضرورات الحياة لا تقوم بدونه ولا تحتمل إذا خلت منه ، وأنها لتأبى أن يجحد هذا الحق أو يمارى فيه ، ما دام الانسان يجد نفسه ويحس ذاته ويحترم إنسانيته ، وهى — لذلك — ترفض الوقوف عند أقوال الممارين فى تعليم الانثى ، والتصدى لمناقشة هذه الأقوال لأن أوان ذلك قد فات منذ انتهى العصر الحيوانى الذى كانت حياة الانسان فيه تقوم على الحاجات المادية فحسب !

إن الكلام فى حق الأنثى فى العلم ، رجعة إلى الوراء لا تحتملها الحياة الجادة فى سيرها .

فلا يقل قائل بعد اليوم : « خلوا الفتاة تحترف كالرجل أو فاغلقوا المدارس فى وجهها ، فان التعلم قد صار ضرورة تزيد فى إنسانية الانسان وحياة الحى ، ولننتقل المعركة إلى ميدان جديد ، لنرى ماذا تتعلم المرأة ، ونحدد موقفها المضطرب القلق بين الوظيفة والبيت ، وإننا لفاعلون ، رضينا أو كرهنا ، لأن الحياة لن تنتظرنا حتى نبدئ ونعيد فى أمر فرغ منه ومضى أوانه .

يا خليلى الفقير[1]

لجبران خليل جبران

يامن ولدت على مهد الشقاء وربيت فى أحضان الذل ، وشببت فى منازل الاستبداد ، أنت الذى تأكل خبزك اليابس بالتنهد ، وتشرب ماءك العكر ممزوجاً بالدموع والعبرات .

ويا أيها الجندى المحكوم عليه من شرائع البشر الظالمة بأن يترك رفيقته وصغاره ومحبيه ويذهب إلى ساحة الموت من أجل طمع يدعونه الواجب .

ويا أيها الشاعر الذى يعيش غريباً فى وطنه ، ومجهولا بين معارفه ويرضى من العيش بمضغة ، ومن الحطام بالحبر والورق .

ويا أيها السجين المطروح فى الظلمة من أجل ذنب صغير جسّمه غى الذين يقابلون الشر بالشر واستغربته عاقلة الألى يرومون الاصلاح بالفساد .

وأنت أيتها المسكينة التى وهبها الله جمالا رآه فتى العصر فاتبعك وغرك وتغلب على فقرك بالذهب فاستسلمت له وغادرك فريسة ترتعد بين مخالب الذل والتعاسة .

أنتم يا أحبائى الضعفاء شهداء شرائع الانسان ، أنتم تعساء ، وتعاستكم نتيجة بغى القوى ، وجور الحاكم ، وظلم الغنى ، وأنانية عبد الشهوات .

لا تقنطوا فمن مظالم هذا العالم ، من وراء المادة ، من وراء الغيوم ، من

---

(١) من كتابه « دمعة وابتسامة » .

وراء الأثير ، من وراء كل شيء ، قوة هي كل عدل ، وكل شفقة وكل خير وكل محبة .

أنتم مثل أزهار نبتت في الظل . سوف تمر نسمات لطيفة وتحمل بذوركم إلى نور الشمس فتحيون هناك حياة جميلة .

أنتم نظير أشجار عارية مثقلة بثلوج الشتاء . سوف يأتي الربيع ويكسوكم أوراقاً خضراء غضة .

سوف تمزق الحقيقة غشاء الدمع الحاجب ابتساماتكم .

أنا أقبلكم ياإخوتي وأحتقر مضطهديكم .

القسم الخامس

تحليل

الامتحانات الانشائية

فى التوجيهية والثقافة

امتحانات القسم التوجيهى

(١)

يرى قوم أن من الخير أن تكون لغة التمثيل هى اللغة العامية ، ويرى آخرون أن تكون اللغة العربية الفصحى . ناقش الرأيين ثم قل ما تراه .

التحليل

(ا) مناقشة الرأى الأول .

لغة جمهور الأمة اللغة العامية . الرواية من روح الشعب وتخاطب الشعب . السمو بالحديث لا يشرق فى خاطر أغلب النظارة ومن ثم فلا يؤثر فيهم — المسرح والخيالة قائمان لتثقيف الشعب ورفع مستواه — يمكن الخاصة أن تقرأ الرواية إذا طبعت وتستشف أسرار الكاتب — اللغة العامية عربية متأقلمة إن صح هذا التعبير — غالباً ما تشيع فى الرواية الفكاهة فكيف نترجمها إلى العربية الخاصة ؟ — إذا فعلنا ذلك فقدنا أعظم دعامة فى المسرح ، تلك دعامة المسلاة فيه .

(ب) مناقشة الرأى الثانى :

يفهم رجل الشارع اللغة العربية ، وإن لم يستطع تفسيرها — يجب أن نرفع من مستوى الجمهور حتى تسود الفصحى — إشاعة العامية قضاء على العربية لغة الأدب والتخاطب بين العرب .

(ح) الرأى الذى أراه :

يجب أن يكون فى مصر نوعان من المسرح : المسرح الشعبى لمخاطبة العوام والدهماء ، والمسرح الرفيع لخواص الأمة ومثقفيها — لغة المسرح الشعبى العامية ، والثانى العربية — العمل على تطعيم المسرحية الشعبية بكلمات عربية تستعمل فى محيط الدهماء — لاضير من استعمال العامية فى النكات الشعبية ، وخطاب أشخاص الرواية من العامة .

٢

صف حال المتعطلين من المتعلمين ، واعرض لأهم أسباب البطالة وعلاجها

التحليل

كفاحهم فى سبيل الظفر بالاجازة الدراسية — معقد الرجاء من ذويهم — ما تنطوى عليه نفوسهم من آمال كبار — تبدد هذه الآمال — ارتطامهم بالواقع الأليم — طرقهم الأبواب فلا سميع ولا مجيب — إخفاقهم فى الحياة العملية .

أسباب البطالة :

التزاحم على الوظائف الحكومية — قيام شركات كبيرة برءوس أموال ضخمة للأجانب — لا تستطيع المحال الصغيرة منافسة هذه الشركات — عدم إنشاء « المصرف » التعاونى الصناعى — إغفال المنهج الدراسى الجانب العملى من الحياة — لا نربى على الجسارة والإفادة من الأخطاء — ضعف الصناعة المحلية — عدم إيماننا بمصنوعاتنا .

العلاج :

توليد الكهربا من خزان أسوان — إقامة صناعات متباينة — مد الصناعات المصرية الناشئة بالمال — الاحتفاء بالجانب العملى فى المنهج التعليمى — تنفيذ قانون الشركات بأمانة ودقة — إقبالنا على مصنوعاتنا . حمايتها من المنافسة الأجنبية — طبع شباننا بطابع المغامرة ؟

اشرف ربانه سفينة مغرقة على انقاذ ركابها ، فلما أمن على سلامتهم حيا العلم وغرق مع السفينة . صور ما يثيره هذا فى نفسك من خواطر .

التحليل

الحزن العميق على غرق الربان النبيل - نهوضه بواجبه - كبر قلبه - تضحيته بنفسه - وفاؤه لسفينته - إنها تحتل من ذكرياته الجانب الأكبر - لها فى نفسه أعمق الأثر .

حبه لوطنه تجلى فى آخر لحظة من حياته - إبقاؤه على سمعة بلاده - نضاله لإنقاذ ركابه - مفارقته الحياة مطمئن النفس ، مثلج الصدر .

* * *

ثراء الروح لم يقفر من العالم - كان هذا الربان أقوى دليل على ذلك - آثر توسد الماء على أن يتوسد الصخر - فر بجسده الطاهر وروحه الملائكية من الأرض الصلدة التى تنبت الخيانة والخداع - لم يجد أرفق من البحر ولا أحنى عليه من قاعه ففى أهواله ما يتسع لآماله .

* * *

لم يشأ مفارقة سفينته - احتضنته فى رفق وحنان - وفت له كما وفى لها - لم يرتض العودة إلى بلده على غير مركبه الحبيب - إنه لم يعتد أن يسير حانى الرأس ، وأن يتقدم ذليل النفس ، وأن يعيش عيشة الخانع المندحر - إنه بطل وأبطال الزمان قليل .

٤

رواج « الأدب الرخيص » مفسدة للحياة العقلية والخلقية

التحليل

(ا) مفسدة للحياة العقلية :

دفع الشباب عن الجادة والاطلاع على الأدب الرفيع ـ تملق الغرائز الدنيا وصرف للناس عن عميق الثقافة ـ ضحولة التفكير وتناول مشكلات الحياة كساد سوق الكتب القيمة ـ انصراف العلماء والأدباء عن الكتابة ـ إحجام دور النشر عن إذاعة روائع الآثار .

(ب) مفسدة للحياة الخلقية :

سلطانه على أغرار الشباب ـ ارتكاسهم فى حمأة الرذائل وخلع أرسانهم والعكوف على اللهو الآثم ـ تأثر الشبان بالشخصيات المستهترة ـ اندفاعهم فى سبيل الجريمة والإثم ـ قيام شعب متحلل الخلق ، غير متماسك ـ قيام جماعة من الكتاب بترضى الشهوات الجامحة وإشباع النزوات المبتذلة ـ إشاعة الانحلال فى كل ضروب الفن ـ القضاء على الروح المتوثب الطموح ـ ضياع آمال الأمة فى جو التبذل الخانق .

٥

لا غنى للأديب عن دراسة العلوم

التحليل

الأديب الحق هو الذى يمد إحساسه الصادق بالحياة بثقافة شاملة عميقة ـ يقوم الأدب أكثر ما يقوم على دقة الملاحظة ونفاذ النظرة ، وقوة التحليل ، وحسن التعليل وإنها لتكتسب من دراسة العلوم ـ هندسة بناء القصة ؛ وتناول مواد البناء يحتاجان إلى بصر بأسلوب العلماء ـ فن النقد يقوم على دراسة أصيلة لعلوم الاجتماع والنفس والفلسفة والتاريخ حتى يكون شاملا ـ الشاعر الصادق الاحساس لن يسمو شعره إلا إذا كان على دراية بعلوم اللغة المتباينة وله إلمامة بدراسة الأصوات وتطور الكلمات ، وفقه اللغة ونحو ذلك وتعرف أغوار النفس الانسانية .

الرقى العلمى يؤمن بصدق التطور وارتباط الحاضر بالماضى وعلى ذلك يجب أن تقوم دراسة الأدب .

* * *

ليس معنى هذا طغيان الدراسة العلمية على الدراسة الأدبية كما فعل قدامة فى كتابيه « نقد الشعر ونقد النثر » .

* * *

كثير من الأدباء العالميين كانوا علماء فى الرياضة وفى الطب كبول ڤاليرى وديهامل فى الأدب الفرنسى والجاحظ فى الأدب العربى .

٦

مزاحمة الفتاة المصرية للفتى فى ميدان العمل .

التحليل

بدأت طلائع الفتيات المصريات تلوح فى ميدان الأعمال — المدرسات والطبيبات والمحاميات والموظفات — استخدام إدارة إجازات السفر والجنسية للفتيات — رأى مدير الادارة أنهن أقدر وأصبر فى أداء واجبهن من الرجال — لا ضير على الفتاة من العمل إذا لم تجد لها عائلا بدلا من انزلاقها فى تيار العوج والانحراف — ليس الخطر فى عمل المرأة ولكن الخطر فى تحللها من محيط الأسرة — المرأة المتزوجة عليها أن تلزم بيتها لرعاية زوجها وولدها — يشغل المنزل أكثر أوقات المرأة .

* * *

الحياة المصرية المقبلة تتطلب جهوداً لمضاعفة الانتاج ومواجهة السياسة الانشائية — لن يكون هناك خطر من هذه المزاحمة — على الحكومة أن تعمل لصيانة الأسرة وعدم إغراء الزوجة بهجران بيتها — تشجيع الشبان على الزواج وخفض مستوى المعيشة ورفع العلاوة الاجتماعية ؟ .

٧

أثبتت هذه الحرب أن الخلق أساس النجاح .

التحليل

ربح المعركة أكثر الشعوب انطباعا على الصبر والوثوق بالنفس والافادة من الأخطاء — نجحت الأمة التى دانت بالتعاون بجملته فى رأس دفاعها — لم تجد سياسة الاذلال وإهدار الكرامات وسلب الحريات — كان للتضحية والشجاعة الأثر القوى فى كسب المعركة — انقسام الرأى فى الأمم ووقوعها تحت تأثير الخلافات الحزبية يمكن للأمة المهاجمة من النصر أو على الأقل يدنى ساعة التغلب — الأمة التى ينتابها الفزع والجزع لا تصمد أمام ضربات العدو . ضرب المثل بإنجلترا وفرنسا فى الحرب الأخيرة .

* * *

القائد المنغمس فى لذائذه ، الملوك على شهواته يكون أكثر انخداعا فتكشف خططه وتفشى أسراره — وقعت حامية « طبرق » فى الأسر فى الحرب الأخيرة نتيجة لذلك ؟ .

٨

المسابقات العلمية والأدبية وأثرها فى الطلبة .

التحليل

أثر المسابقات فى حفز الهمم ومضاعفة الجهود ، صرف للطلبة عن قضاء أوقات فراغهم فى العبث واللهو الفارغ — فرصة مواتية للممتازين حتى لا يوجهوا نشاطهم إلى جانب المآثم — توسيع لآفاق الطلاب — تغذية ميولهم بالنافع المثمر — تمكن النوابغ من الفقراء وذوى الدخل الضئيل من متابعة دراساتهم حتى لا يقعد بهم الاقلال — تضع أيدى الطلبة على مناحى نبوغهم .

* * *

ليت وزارة المعارف تكثر من هذه المسابقات !! — يا حبذا لو أجزلت المنح والهبات — يجب أن يظل التشجيع وإقامة المسابقات حتى يتخرج الطلاب فى المعاهد العليا .

الفوة الذريه ، مايرجى من خيرها وما يتوقع من شرها .

التحليل

(ا) ما يرجى من خيرها :

إحلال حرارتها محل حرارة الاحتراق إذ أن الأولى حرارة قوية — إدارة المصانع الكبيرة من وقود « اليورانيوم » أو « البلوتونيوم » فالانشطار الذى يتم فى رطل واحد من « اليورانيوم » يولد طاقة كالطاقة التى يولدها حرق ١٤٠٠ طن من الفحم أو ٩٠٠ طن من البنزين — لا ينشأ عن استعمال هذا المعدن دخان أو رائحة كريهة وليس قابلا للاشتعال — يبحث العلماء والمخترعون فى الانتفاع بهذه الطاقة فى تسيير السفن والطائرات والصواريخ والقاطرات — يمكن الطائرة التى تستخدم الطاقة الذرية وقوداً لها أن تستمر فى الفضاء أسابيع بل أشهراً من غير توقف وأن تحلق إلى ارتفاع عظيم وأن تنطلق بسرعة هائلة .

يمكن أن ينتفع بالأشعة الناشئة من تحطم الذرة فى العلاج كما انتفع بالأشعة « السينية » .

* * *

(ب) ما يتوقع من شرها .

استخدامها فى الحروب كوسيلة من وسائل الافناء والتدمير — استعمالها فى وسائل النقل يجعل الحروب أشد رهبة وأمضى سلاحا — ستغير من خطط الدفاع والهجوم — ستجعل المعركة خاطفة مهما حشد فيها من أجناد ما ؟ .

١٠

واجب الشباب المثقف فى نهضة مصر الحاضرة

التحليل

الاقبال على الدرس والاطلاع — إحياء تراثنا الفكرى — نقل روائع الآثار العلمية والأدبية العالمية إلى اللغة العربية — الانصراف عن الآداب الضحلة إلى أمهات الكتب .

حشد الجهود للقضاء على الأمية — تنظيم كتائب لارشاد الفلاح والصانع مطالبة الحكومات برفع مستوى المعيشة للمواطن المصرى .

* * *

عدم الانصات إلى الدعاوة المغرضة — الايمان بحق الوطن فى التحرر — الاقبال على المصنوعات الوطنية — تشجيع العامل المصرى وتوجيهه — عزوف الشباب عن الوظيفة الحكومية .

* * *

الاقبال على التجنيد — التدرب على القتال والدفاع — الايمان بالوحدة العربية — تلبية نداء البلاد الشقيقة إذا حزبها أمر أو حلت بها ضائقة ؟ .

امتحانات الثقافة

١

الأمة التي تفقد روح الإخلاص للواجبات العامة، وتستهين بالآداب والقوانين التي تسن لإصلاحها لا تكون جديرة بحياة سعيدة تجعلها في عداد الأمم الراقية

التحليل

مظاهر الاستهانة بالآداب والقوانين :

(ا) الخروج على التقاليد كاختلاط الرجال بالنساء ، وارتياد المحال العامة في غير احتشام أو وقار .

(ب) إبداء النساء فتنتهن في الطرقات — وتصديهن للرجال .

(ح) ضعف الوازع الخلقي ، وغفوة الضمير في كل من الرجل والمرأة .

(ى) عدم التقيد بما يفرضه القانون ، فالتاجر لا يرضخ للتسعير الجبري في بيعه ، واستحلاله الربح الحرام ، والربا الفاحش .

نتائج الاستهانة :

التبذل والإسفاف — شيوع الرذيلة في أبشع مظاهرها — الاستخفاف بالمسئوليات — اضطراب الأمة الداخلي — ضعفها وانحلالها — طمع الأجنبي فيها — نفث سمومه — التمكين لترسيخ أقدامه .

٢

أى الأمرين انفع للامة ؟ التشدد فى امتحان طلابها أم التساهل فيه ؟
ولماذا ؟

التحليل

الامتحان سبر لغور التلميذ ، ومقياس لذكائه ، ووقوف على مدى تحصيله ـ الأسئلة التى توجه إلى التلاميذ يجب أن تجمع بين الأمرين ، الذكاء والتحصيل الأسئلة التى لا تتجاوز التحصيل من الإضرار بالطالب والأمة التشدد فيها ـ المعلومات التى يمكن أن تحصل فى أى آن من العبث أن تتحكم فى رسوب التلميذ وتعريضه لأزمات وعقد نفسية خطيرة ـ أغلب الأسئلة من النوع الأخير ـ على واضع الأسئلة أن يلم بأصول علم النفس وقواعد التربية ـ على الممتحن أن يقف على الظروف المحيطة بالعام الدراسى ـ ينبغى ألا يكون المنهاج مشحونا بالتفاصيل ، مزحوما بالمواد فالمدرسة ما هى إلا موجه ومرشد للطالب ـ إذا استوفت الأسئلة هذه الشرائط فعلينا بالتشدد حتى نتبين العقول المشرقة من الأذهان الخابية ـ فى هذه المعرفة إشاعة للعدل وتوجيه المواهب وإشباع الميول .

٣

فى صناعنا المصريين ذكاء ومهارة وصبر على العمل ، ولكن اقبال الجمهور على مصنوعاتهم لا يزال ضعيفاً فاتراً ، فعلى من يقع اللوم ؟ أعلى الصناع ؟ أم على الجمهور ؟ أم على الفريقين ؟

التحليل

يقع اللوم على الفريقين :

الصناع لأنه ينقصهم صفات أخرى من الوفاء بالوعد وسمو الذوق والطموح والوقوف على التطور الصناعى العالى .

والجمهور لأنه ينقصه التضحية والتشجيع ، و نبذ كل ماهو مصرى لأنه وطنى .

ولن تخلى الحكومة من اللوم :

لعدم تشجيع النابهين من الصناع بانشاء مصرف للتعاون الصناعى ، وإيقافهم على خلاصة الثقافة الصناعية فى العالم ، ورفع الرسوم الجمركية على المصنوعات التى تنافس مصنوعاتنا .

العمل على إيجاد صناعات جديدة حتى يؤمن الجمهور باقتدار المصرى وحتى يتربى فى الصانع المصرى الحاسة الصناعية ذات الأثر البعيد فى التجويد .

٤

يرى بعض المفكرين أن من وسائل إصلاح مصر تربية الشباب جميعاً تربية عسكرية . ناقش هذا الرأى و بين آثاره فى الأمة .

التحليل

صحة ما ذهب إليه هؤلاء المفكرون ـ التربية العسكرية فيها تقويم للخلق ، وتقوية للجسم ، وتغذية للروح والعقل ـ التربية العسكرية من أهم سماتها طبع الآخذ بها على النظام والطاعة والصبر والتعاون وإنها لسمات بعيدة الغور فى حياة الفرد والأمة ـ التربية العسكرية تبعد الشاب عن اللهو الآثم والسلوك المريب ـ تأخذ الشاب بقوة الرجولة ومتانة الخلق .

القوة البدنية يصحبها فى الغالب القوتان الروحية والعقلية ـ ما أحوجنا فى عصرنا الحاضر إلى هذه التربية لما ينتابنا من أدوار خاقية تحدرت إلينا من الحيلولة بيننا وبين هذه التربية ، ونفث أحط الأجناس البشرية سمومها فى محيط الأمة المغلوبة على أمرها !!

إيماننا بهذا المبدأ ـ الأخذ بالتجنيد الجبرى والتدريب العسكرى فى المدارس والمعاهد ـ التبشير بالمستقبل السعيد .

٥

لا سبيل الى الحرية الصحيحة مع الجهل ، فسر ذلك وبين رأيك فيه .

التحليل

الحرية الصحيحة للشعب هى أن يحكم نفسه حكما ديمقراطيا ـ لن يتأتى هذا الحكم إلا إذا كان التمثيل صحيحاً ـ لا يستطيع الجاهل أن يختار ممثليه ــ ينساق فى التيار من غير معرفة أو تمييز ــ قد ينتخب الجاهل فى مجلس الأمة ــ لا يمكنه مراقبة السلطة التنفيذية وتوجيهها ومحاسبتها ــ يفقد القدرة على التمييز ــ يكون مثار السخرية ويقع تحت سلطان التمويه والخداع .

الجاهل فاقد الحيلة ، ضعيف الثقة بنفسه ، مؤمن بالخرافات والأباطيل ــ إذا كانت هذه حاله فكيف يطلب التحرر والخلاص ، التحرر المعنوى والتحرر المادى .

مثل هذا الشعب الجاهل يحتاج إلى رقابة أجنبية ، وتوجيه خارجى للنهوض به والأخذ بيده .

***

أصبح التعليم ضرورة من الضرورات الانسانية كالماء والهواء والغذاء فى الشعوب المتمدينة ــ إيمان مصر بهذه الحقيقة ــ جهادها فى مكافحة الأمية .

٦

انتشار البؤس فى أمة مظهر لضعفها الخلقى والاجتماعى .

التحليل

(أ) إنه مظهر لضعفها الخلقى :

لأن البائس قليل الثقة بنفسه ، ملول ، لا طموح فيه وهذه الصفات جماع الضعف الخلقى .

والبؤس آية من آيات الانحلال الخلقى إذ لا تعاطف ولا تساند ولا إخاء .

(ب) وهو مظهر لضعفها الاجتماعى :

لأن البؤس ينشأ عن وجود فوارق كبيرة بين الطبقات — تمتاز الأمة التى من هذا القبيل « بالرأسمالية » الطاغية — من سمات هذه « الرأسمالية » ألا تحفل بمن دونها من الطبقات فتتحكم فيها وتطغى عليها حتى تجعلها عبيداً لها — لا تقف الطبقات الأخرى موقف الجمود بل تندفع فى سبيل الجريمة وتهديد الأمن — الأمة التى هذا طابعها تفقد التماسك الاجتماعى وتؤرث فيها الحروب الأهلية كما حدث فى فرنسا فى الثورة الفرنسية .

فهرس

القسم الأول

الموضوعات الاجتماعية القومية

(ا) النماذج

(ب) التحليل

القسم الثانى

الموضوعات العلمية

(ا) النماذج

(ب) التحليل

القسم الثالث

الموضوعات الأدبية

(ا) النماذج

القسم الرابع

المقالات المختارة لكبار الكتاب

القسم الخامس

تحليل إمتحانات التوجيهية والثقافة

١٠٠١٤ / ٢ / ١٩٤٨



الثمن ١٢ م